الفكر السياسي الإسلامي

سلسلة المعارف التعليمية

نهج الإمام

معالم نهج الإمام الخميني قدس سره من كلام الإمام الخامنئي دام ظله

دار المعارف الإسلامية الثقافية

سلسلة المعارف التعليمية

نهج الإمام

معالم نهج الإمام الخمينيّ قدس سره

من كلام الإمام الخامنئيّ دام ظله

دار المعارف الإسلامية الثقافية

الـــكـــتـــاب: **نهج الإمام**
معالم نهج الإمام الخمينيّ قدس سره من كلام الإمام الخامنئيّ دام ظله

إعـــــــداد: مركز المعارف للمناهج والمتون التعليمية

إصـــــدار: **دار المعارف الإسلامية الثقافية**

تصميم وطباعة: DBOUK 009613 336218

الطبعة الأولى – 2019م

ISBN 978-614-467-110-8

books@almaaref.org.lb
00961 01 467 547
00961 76 960 347

سلسلة المعارف التعليمية

نهج الإمام

معالم نهج الإمام الخمينيّ قدس سره
من كلام الإمام الخامنئيّ دام ظله

دار المعارف الإسلامية الثقافية

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

المقدّمة 9

الدَّرس الأوّل: نهج الإمام الخمينيّ قدس سره المفهوم والمِعْيار 11

مقدِّمة 13

أوّلاً: الخطّ والنّهج الخمينيّ 14

ثانياً: لماذا سُمِّيَ هذا الخطّ بنهج الإمام؟ 15

الإمام الخمينيّ قدس سره معيارٌ أساسٌ للخطّ 17

أُسُس الارتباط بنهج الإمام 19

الدَّرس الثَّاني: خريطة الإمام الخمينيّ قدس سره والمِعْمار العظيم 23

أوّلًا: ما هو نهج الإمام؟ 25

ثانياً: التمسُّك بـ«خريطة الإمام» 26

معرفة خريطة الإمام 27

معرفة خريطة المِعْمار 27

معرفة خصوصيّة الخريطة 28

عدم المعرفة تُوجب الانحراف 28

نموذَج الإمام الخمينيّ الفريد 28

معرفة شخصيّة الإمام الخمينيّ مِفتاح الخريطة 29

مِنْ معالِم شخصيّة الإمام الخمينيّ قدس سره 30

الدّرس الثّالث: معالِم خريطة الإمام قدس سره (1) 35

ماهيّة خريطة الإمام 37

معالِم خريطة نهج الإمام قدس سره 38

الدّرس الرّابع: معالِم خريطة الإمام قدس سره (2) 49

1. العبادة والمُبادرة الفرديّة 51

2. الشّعب ركيزة الانطلاق 51

3. الإصرار على إيجاد علاقات صداقة صحيحة مع الدُّول 52

4. خصوصيّة الصّراع مع «إسرائيل» 52
5. بناء النّموذج العالميّ 52
6. إيمانٌ وعملٌ صالحٌ وتزكية 53
7. وجود الكادِر الصّالح 53
8. الاستقامة الحُسينيّة 54
9. مرجعيّة خطّ الأنبياء عليهم السلام والقرآن الكريم 54
10. العلاقة الفعّالة بين النُّخبة والجّماهير 55
11. امتلاك خصّيصة الفقه السّياسيّ 55
12. محوريّة الإنسان في التّحوّلات الاجتماعيّة 56
13. نهج الإمام بين قوَّتَي الجَذْب والدّفْع 57
14. الحسابات المعنويّة والإلهيّة 57
15. مَعالِم خريطة الإمام مَعالِم مُتكاملة 58
16. المزاوجة بين المعنويّة والعقلانيّة 58
17. العدالة والمعنويّة والعقلانيّة: 59
الدّرس الخامس: أُصول البُعْد المعنويّ في خريطة الإمام الخمينيّ قدس سره 61
مقدّمة 63
أصْل التّوحيد في البناء المعنويّ 64
المعنويّات، العقل والعدالة مبادئ البُعد المعنويّ 65
تجلّيات البُعْد المعنويّ في ثلاثة أُطرٍ 68
آثار أُسُس الإيمان الثّلاثة 69
المُتعبِّد الثوريّ في الأبعاد كلّها 70
الدّرس السّادس: معالم معنويّة في نهج الإمام الخمينيّ قدس سره (1) 75
الإمام أَيقظ الاستعدادات المعنويّة 77
أهمّيّة أداء التّكليف 78
المَدَدْ الغيبيّ 79
ضرورة الاعتماد على الوعد الإلهيّ 81

المبادرة في العمل 82
الثّبات في أداء التّكليف 83
النّشاط في العمل من آثار الاعتقاد بالتّكليف 84
الثّبات على التّكليف 85
الدّرس السّابع: معالِم معنويّة في نهج الإمام الخميني قدس سره (2) 89
التّقوى 91
الإخلاص لله مَظهر الرّوحانيّة في مدرسة الإمام 93
لقد كان الإمام مُخلصًا لله 93
العبادة في حركة الإمام الخمينيّ قدس سره 95
المجالس الحُسينيّة وتعزيز الجانب المعنويّ 96
الارتباط بالشُّهداء من أُسُس البُعْد المعنويّ 97
العزّة من معالم المنهج المعنويّ 98
الحياء والتّواضع 99
الدّرس الثّامن: الإمام الخمينيّ مَظهر للمعنويّة 103
ضرورة الالتزام بمبادئ الأخلاق الإسلاميّة 105
أصل الأخلاق في العمل الثوريّ 106
الجاذبيّة المعنويّة للإمام الخمينيّ قدس سره 108
القيادة والزُّهد والعِرفان من تجلّيات نظام التّربية الإسلاميّة 108
الإمام الخمينيّ مظهرٌ للمَعنويّة الحقيقيّة 109
أبرز الصّفات المعنويّة للإمام الخمينيّ قدس سره 110
الدّرس التّاسع: أَصْل «العقلانيّة» في نَهْج الإمام قدس سره 115
عدم التّعارُض مع المباني والأُصول 117
العقلانيّة درب الوصول إلى الأهداف 117
العقلانيّة في خدمة الأصول 118
الهويّة الثّقافيّة من مظاهر عقلانيّة خطّ الإمام 118
عداء الاستكبار من مظاهر العقلانيّة 119

أَصالة العدالة الاجتماعيّة 120
العقلانيّة الواقعيّة في أَصْل العدالة 120
اختيار النّظام الشّعبيّ 121
الصّلابة وعدم التّنازُل في مواجهة الأعداء 121
غَرْس الثّقة بالنّفس في الشّعب 121
تدوين دستورٍ ثوريّ وإلهيّ 122
الشّعب صاحب البلاد 123
الدّرس العاشر: السِّيادة الشَّعبيّة الدِّينيّة في نَهْج الإمام 125
السّيادة الشّعبيّة الدّينيّة كأَصْلٍ عقلانيّ 127
معالِم مدرسة الإمام في السّيادة الشّعبيّة الدّينيّة: 128
خصوصيّات السّيادة الشّعبيّة 131
الدّرس الحادي عشر: معايير استمراريّة نَهْج الإمام الخمينيّ قدس سره 137
ضرورة وجود معايير لحفظ نهج الإمام 139
معرفة الإمام الخمينيّ قدس سره 140
عدم المداهنة في نهج الإمام 140
استمرار الإسلام المحمّديّ الأصيل 141
الإسلام والعقيدة معيار جاذبيّة الإمام الخمينيّ قدس سره ودفْعِه 142
الإيمان بالنّاس 143
دور الجماهير 143
الحفاظ على التّوازن بين هذه العناصر 144
خطر الانحراف جرّاء فقدان التّوازن 144
الدّرس الثّاني عشر: استمراريّة نهج الإمام والتحدِّيات القابلة 147
نقاط القوّة في الثّورة 149
نقاط ضّعف الثورة 153
حماية الثّورة من الانفعال والتحجّر 155
كيف نواجِه التّحجُّر والانفعال؟ 156

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله الطيّبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، وبعد...

لقد التقت مجموعة هامّة من الخصال القيادية النفيسة في شخصية الإمام الخميني قدس سره، يصوّرها تلميذه الإمام الخامنئي دام ظله بقوله: «... ذلك العظيم الذي جمع قوّة الإيمان مع العمل الصالح، والإرادة الفولاذية مع الهمّة العالية، والشجاعة الأخلاقية مع الحزم والحكمة، وصراحة اللهجة والبيان مع الصدق والمتانة، والصفاء المعنوي والروحي مع الذكاء والكياسة، والتقوى والورع مع السرعة والقاطعية، وهيبة القيادة وصلابتها مع الرقّة والعطف»[1].

وهذه الخصال نفسها نقرؤها في شخصيّة الإمام الخامنئيّ دام ظله ومسيرته القيادية الحكيمة، فهو الذي يعشق أستاذه، ويتبّع فكره ونهجه، كما يصرّح قائلاً: «إنّني أعتبر نفسي تلميذاً متواضعاً، وابناً مطيعاً، ومحبّاً عاشقاً لروح الله...»[2]. وهذا ما نلمسه بوضوح عندما ننظر في الثوابث والأصول التي حرص الإمام الخامنئي دام ظله على ترسيخها في وجدان الأمّة، والتزمها سلوكاً عمليّاً في قيادته وإدارته لمختلف المراحل الصعبة والمعقّدة التي واجهت الأمّة الإسلامية.

يرى الإمام الخامنئي دام ظله أنّ دائرة التوحيد ونهجه في الحياة وفي النظام الاجتماعي، لا تعني عدم عبادة غير الله فقط ليكون الإنسان موحّداً، بل لا بدّ من شروط

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، بتاريخ: 1969/3/18 هـ.ش.
(2) المصدر نفسه.

أخرى، أهمّها عدم إطاعة أعداء الله والطواغيت، وبهذا البيان يمكن التعبير عن عبادة الله، التي هي روح التوحيد، بالعبودية والطاعة المنحصرة بالله، وأنّ عبودية وطاعة غير الله تعدّ شركاً... سواء أكانت في الأمور الشخصية، أم في القوانين العامّة، أم في شكل النظام الاجتماعي وكيانه.

كما يعتبر الإمام الخامنئي أنّ الولاية نسيج من الترابط والاتّحاد الفكري والعملي الذي ينتج انصهار المجتمع والأمّة في بوتقة الإسلام، ما يحفظ قوّة الأمّة ووحدتها، ويمنع من الذوبان أو الانخراط في التيّارات الفكرية المنحرفة، ويشكّل جبهة محكمة وقويّة لا يمكن اختراقها.

ويعتبر دام ظله «أنّ نهج الإسلام يجب أن يبقى محمديّاً أصيلاً على نهج الإمام الخميني قدس سره، وأنّ الإسلام المحمّدي الأصيل هو إسلام العدل والقسط، إسلام العزّة، إسلام حماية الضعفاء والحفاة والمحرومين... إسلام الدفاع عن حقوق المظلومين والمستضعفين، إسلام الجهاد ضدّ الأعداء وعدم مداهنة المتغطرسين والمتفرعنين... إسلام الأخلاق والفضيلة والسموّ المعنوي»[1].

هذا الكتاب (نهج الإمام معالم نهج الإمام الخمينيّ قدس سره من كلام الإمام الخامنئيّ دام ظله) سلسلة دروس من وحي مدرسة الولاية في فهم الإسلام المحمّدي الأصيل، المتمثّل في نهج الإمام الخميني في هذا العصر، ومن أقدر ممّن تربّى في مدرسة الإمام الخميني قدس سره، وعايش هموم الناس والمستضعفين، من صاحب الفكر الأصيل آية الله العظمى الإمام الخامنئي دام ظله في بيان أصول نهج الإمام الخميني قدس سره ومدرسته التي تعتبر معماراً عظيماً ومشرقاً في عصر الذلّة والظلمة والتشتّت والضياع.

نسأل الله تعالى أن ينير قلوبنا بنور الولاية المشرق في عصر غيبة صاحب الزمان بنائبه الإمام السيد علي الخامنئي -حفظه الله -.

والحمد لله ربّ العالمين

مركز المعارف للمناهج والمتون التعليميّة

(1) الإمام الخامنئي، الخطوط العامّة للفكر الإسلامي في القرآن، جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة.

الدَّرس الأوّل

نهج الإمام الخمينيّ قدس سره
المفهوم والمِعْيار

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يُميّز مفهوم «نهج الإمام».
2. يُعرِّف معياريَّة «الإمام» في نهج الإمام.
3. يُعدِّد خطوات التّعرُّف إلى نهج الإمام.
4. يُحدِّد أُسس الارتباط بنهج الإمام.

مقدّمة

إنّ طبيعة السَّير التّاريخيّ للمجتمعات البشريّة عبر هذا الزّمان المُترامي، تُفضي دائمًا إلى قيام الفئات المُستضعفة على الحكومات الجائرة والمتسلِّطة؛ وذلك إمّا عبر حركاتٍ عفويّة شعبيّة تُواجِه الظُّلم المباشَر، وإمّا عبر ثورةٍ في الوعي والفِكر وانقلابٍ على المفاهيم السّائدة، يواكبها تحرُّكٌ شعبيّ مُمَنهج ومدروس؛ من أجل إزاحة الظّالمين وتأسيس منظومةِ حُكمٍ بديلة. وقد شَهِد القرن الفائت إحدى أهمّ الثّورات في القرون الماضية في العالَم، وخصوصًا في منطقتنا، وهي ثورةٌ استطاعت أَنْ تؤسِّس ليقظةٍ فكريّة ومعنويّة وقيَميّة عالية المستوى، وفريدةٍ في طرْحها النّظريّ والعمليّ حول موضوع الحكومة ومنطِق الاجتماع البشريّ؛ إنّها ثورةُ روح الله الخمينيّ قدس سره أمام جحافل مليونيّة من الشّعب الإيرانيّ الثّائر، الّذي آمن واعتقد بهذا الطّرح الإلهيّ التّجديديّ الّذي جاء به الإمام الخمينيّ قدس سره إلى واقعٍ سياسيٍّ وقيَميّ وفكريّ واجتماعيّ واقتصاديّ؛ عانى الأمَرَّيْن من تسلُّط الشّاه عليه. وعندما نقول الشّاه، فإنّنا لا نقصد الشّاه كشخص مع ضرورة الالتفات إلى تأثيره الشّخصي في الأمّة، بل كمنهجٍ متكاملٍ يشكّل منظومة أُريد لها أن تمحوَ بشكلٍ نهائيّ فكرة الدّين الإسلاميّ الأصيل، وأن تُدخل الشّعب الإيرانيّ ومِن ورائه الشّعوب الأخرى في المنطق، في منظومة التّبعيّة للاستكبار الأمريكيّ والصّهيونيّ.

ما قام به هذا الشّعب، تبعًا للمنهج والرّؤية والخطّ الّذي أظهر ملامحه وبناه الإمام الخمينيّ، كان عملاً عظيمًا جدًّا، وأمرًا فرضَ نفسه وفرض الإسلام من جديد في الحضور على الخريطة السّياسيّة في العالَم، كأمّةٍ قادرة بكلّ ما للكلمة من معنى على أن تُعيد الحياة

إلى عروق هذه الشّعوب المُستضعَفة. إنّه النّهج والخطّ الخمينيّ، الأمل الجديد للشّعوب والمسلمين، وهو الخطّ الّذي سطع نورُه في إيران، وامتدّ شُعاعُه إلى لبنان وفلسطين وإلى شعوب أخرى في المنطقة والعالَم، مع الاعتراف بشدّة المواجهة مع الاستكبار العالميّ الّذي حاصر ولا يزال يحاصر هذا النّور العظيم بكلّ الطّرائق المُمكنة، النّاعم منها والخَشِن.

وخلال هذه التحوُّلات والانقلابات والأحداث الكبرى الخطيرة والمواجهات السّياسيّة والعسكريّة والاقتصاديّة، والابتلاءات الصّعبة، تنامى داخل الأمّة خطّ سياسيّ حركيّ وفكريّ وجهاديّ، يشكّل استراتيجيّتنا السّياسيّة والجّهاديّة، وينبع من الأصول العميقة لتفكيرنا الإسلاميّ، وذلك هو «نهج الإمام».

وهذا الخطّ في أصوله التّاريخيّة المُعاصِرة، هو الوعي السّياسيّ الإسلاميّ نفسه، الّذي اجتاز هذه المراحل السّياسيّة والجّهاديّة خلال نصف قرن من الزّمن تقريبًا، حتّى تكاملت أبعاده واكتمل نضجُه ونموُّه، وظَهر على السّاحة الإسلاميّة على شكل نهج الإمام، من خلال السّلوك السّياسيّ والجهاديّ لقائد المسيرة الإسلاميّة، الإمام الخمينيّ قدس سره.

أوّلاً: الخطّ والنّهج الخمينيّ

في البداية، لا بدّ من أن نؤسِّس لأصلٍ هامٍّ جدًّا يسري على بقيّة عناوين ومحاور هذا الكتاب، بل لتصوُّرنا لنهج الإمام الخمينيّ قدس سره.

إنّ الحديث عن نهج الإمام الخمينيّ قدس سره، للوهلة الأولى، للمعتقِد به وكذلك للطّرف الّذي يضع نفسه في قِبال هذا الخطّ، يمرُّ بإشكاليّة تعريف وتحديد ماهيّة هذا العنوان «خطّ أو نهج» الإمام الخمينيّ، فهل هو عبارة عن مدرسة فكريّة جديدة؟ أو تيّارٍ سياسيّ؟ أو نمط خاصّ في الحُكْم السّياسيّ؟ أو رؤية دينيّة فقهيّة محدَّدة؟ أو اتّجاهٍ معنويٍّ وتربويّ؟ أو غير ذلك من الأسئلة والمحدّدات الّتي قد يُثيرها الذّهن؛ أو قد تكون مطروحة للبحث والتّداول بشكلٍ عام.

إنّ المُراجعة الوافية لمُجمل خطابات الإمام الخامنئيّ دام ظله حول خطّ ونهج الإمام، تُبيِّن لنا الحقيقة البسيطة الآتية، وهي أنّ نهج الإمام الخمينيّ هو خطّ الإسلام المحمديّ

الأصيل، وهذا المُصطلح الّذي صاغَهُ الإمام الخمينيّ قدس سره نفسهُ، يحمل في مضمونه أبعادًا مختلفة:

- أوّلها: إنَّه خطّ يعتمِد الإسلام كدينٍ وكرؤية كونيّة، يُبنى عليها كلّ الشّؤون المتعلِّقة بدُنيا الإنسان وبآخرته.
- ثانيًا: إنَّه خطّ إسلاميّ، إلّا أنَّه خطّ أصيلٌ قبالة التيارات الإسلاميّة الّتي تعاني تسلُّط الاستكبار عليها، ومن تحجيمه لفاعليّتها في المجتمعات الإسلاميّة والأمّة الإسلاميّة.

هذان الرُّكنان هما الرُّكنان الأساسيّان اللّذان يشكِّلان الإطار العامّ لخطّ الإمام الخمينيّ ونهجِه. وبالتّالي، فإنَّ الإمام الخمينيّ قدس سره لم يأتِ بدينٍ أو مذهب أو فكرٍ جديد مُبتَدَعٍ، بل هو فكرٌ مُستَمَدٌّ من أصالة الفِكر الإسلاميّ المتّصل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهو إذاً يقع على جهة الخِلاف والتّضاد بشكلٍ جذريّ مع منظومة الاستكبار العالميّ، وكلّ تيار أو جماعة مرتبطة بها سواءٌ كانت ذات خلفيّة مُلحِدة أو دينيّة. ومن جهة أخرى، فإنّ هذا الخطّ هو قريبٌ جدّاً من كلّ منظومة تُعاند الاستكبار العالميّ، مهما كان شكلُها الفكريّ والعقائديّ، مع اعتقاد الإمام الرّاحل العميق بأنّ هذه المجموعات القريبة، من المُمكن جدّاً أن تنضوي تحت لواء الحقّ على ضوء الإسلام المحمّديّ الأصيل، بقوّة الجاذبيّة المعنويّة لهذا الخطّ.

طبعاً، فإنّ هذا التّحديد المتقدّم هو على مستوى الدّعوى، وينبغي أن نقدّم عليه الدّليل، خصوصًا مع هذه الكمّيّة الهائلة من الموادّ والضّخّ الإعلاميّ الّتي أَغرقت بها قوى الاستكبار وأدواتها وسائل الإعلام ووسائل التّواصل الاجتماعيّ، في محاولات حثيثةٍ منها تهدف لتشويه معالم هذا الخطّ والنّهج، واستطاعت أن تُوهم بعض الناس بأمورٍ هي على خلاف حقيقة هذا الخطّ.

إنّ الدّروس القادمة الّتي ستَشرح معالم نهج الإمام الخمينيّ قدس سره، ستتكفّل بِبَيان الأدلّة الوافية على هذَين العُنصرين اللّذَيْن يشكّلان روح نهج الإمام قدس سره ونهجه.

ثانياً: لماذا سُمِّيَ هذا الخطّ بنهج الإمام؟

عطفًا على ما سبق، فإنّ السّؤال الّذي يخطر في البال أيضًا، أنّه لو سلّمنا بأنّ هذا النّهج هو عبارة عن نهج الإسلام المحمّديّ الأصيل، وأنّه يعمل بهدف التغلُّب على الاستكبار العالميّ، ولكن لماذا سُمّي بـ «نهج الإمام»، ولم نقتصرْ على تسميته بالخطّ الإسلاميّ الأصيل على سبيل المثال؟

علينا في هذه النّقطة أن نرجع قليلًا إلى ظروفِ تشكُّل الحَراكِ الثوريّ الكبير الّذي قام به الإمام الخمينيّ قدس سره منذ حادثة الفيضيّة سنة 1963 ميلاديّ، وما تَبِعها من أحداث مُتطاولة على مدى سنوات؛ من معارَضة النّظام البهلويّ في إيران والمَنافي، إلى تشكيل الحكومة الإسلاميّة والحرب الظّالمة على الجمهوريّة الإسلاميّة طوال سنوات ثمانٍ، وصولًا إلى وفاة الإمام سنة 1989 ميلاديّة. إنّ هذا المسار الطّويل الّذي شهدته الثّورة الإسلاميّة في إيران، كان متعلّقًا بشكلٍ كبير جدًّا بشخصيّة الإمام الخمينيّ قدس سره ومزاياهُ الفكريّة والمعنويّة والسّلوكيّة الخاصّة، الّتي تجلّت بشكلٍ كبيرٍ في كلِّ مفاصلِ حياته، بحيث انطبعت مفاصل الثّورة وأجزاؤها بشخصيّة الإمام قدس سره، واختبر الشّعب الثّائر تماهي شخصيّة الإمام الرّاحل وقُدراته ومزاياه مع هذه المراحل الصّعبة والتّأسيسيّة، بطريقةٍ لم يَعُد بالإمكان الحديث عن الثّورة ومسارها، من دون الحديث عن شخصيّة الإمام الخمينيّ وفكرِهِ وأسلوبِهِ وطروحاتهِ ورؤيتهِ.

إنّ تعدُّد جوانب شخصيّة الإمام، كعالِمٍ مُجتهدٍ وفقيهٍ ومرجعٍ للمسلمين، وكعارفٍ إلهيّ ومربٍّ أخلاقيّ، وكمفكّر وفيلسوف، وكسياسيّ، وكبانٍ لدولة، وكمؤسّس لمنهج متكاملٍ وفريدٍ في نظريّة الحُكْم السّياسيّ، وكمجاهد وثوريّ عانى كبقيّة الشّعب أذى الشّاه والنّفي والغُربة والتّشريد، إنَّ هذا التعدُّد انعكسَ بشكلٍ كبير على الحَراك الثوريّ الّذي قام به الشّعب في إيران؛ وظهرت آثاره على أجيال من الشّباب الثّائر الّذي استلهم الفكرَ والعاطفة والسّلوك الخمينيّ في حركتِهِ وتوجُّهاتِه الثوريّة. ولذلك، لم يَعُد بالإمكان الفصْل بين الثّورة والإمام قدس سره، وهذا الاندكاك ولّد حالةً فريدةً بين الحركات الثوريّة في العالَم الحديث، ولادة مُعطىً ثوريّ خاصّ، اسمُه «نهجُ الإمام».

ومن الجّدير ذِكرُه، أنّ أوّل من أطلق هذا الشّعار هم مجموعة من الطّلبة المسلمين

عند احتلال السّفارة الأمريكيّة، الّذين سمّوا أنفُسهم بـ«الطّلبة السّائرين على نهج الإمام». ومنذ هذا التّاريخ دخل هذا المصطلح في قاموس الثّورة، إلاّ أنّ مضمون نهج الإمام والمحتوى السّياسيّ والفكريّ لهذا المصطلح، كان موجودًا في عُمق الثّورة قبل ذلك بزمانٍ بعيد.

الإمام الخميني قدس سره معيارٌ أساسٌ للخطّ

من الأمور الهامّة جدًّا في توضيح معالِم نهج الإمام الخمينيّ وخطّه، أنْ ننظرَ إلى الإمام الخمينيّ بوصفه «مِعيارًا»، إذ لا يمكن نزع شخصيّة الإمام الخمينيّ من الثّورة الإسلاميّة في إيران من دون إحداثِ خللٍ بنيويٍّ حادٍّ فيها؛ أي إنّ الطّابَع المعرفيّ والفكريّ والحركيّ والمعنويّ للثّورة هو طابَع شخصيّة الإمام الخمينيّ قدس سره، وإنْ لم تتقيَّد الثّورة بقاءً بحياةِ ذات الإمام الخمينيّ قدس سره؛ إذ كما يشير هو في وصيّته السياسيّة إلى أنَّ الثّورة الإسلاميّة لا تقفُ عند حدود أشخاص، بل هي مستمرّة حتّى لو لم يكن هو موجودًا «وليمضوا قُدُمًا بحزمٍ وإرادة وتصميم، وليعلموا بأنّ رحيل خادمٍ عنهم لن يُحدث أيّ خلل في صفوف الشّعب الحديديّة، فإنّ هناك من الخُدّام من هم أفضل وأسمى»[1]، لكنّ الملامح العامّة للثّورة مجبولة بأبعاد شخصيّة الإمام الخمينيّ قدس سره.

وفيما يتعلّق بهذه المسألة يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «النّظر للإمام باعتباره معيارًا، تكتسب هذه النّظرة أهمّيّتها من أنّ التّحدّي الرّئيسيّ في جميع التحوّلات الاجتماعيّة الكبرى - بما في ذلك الثّورات - هو صيانة الاتّجاهات الأصليّة في هذه الثّورة أو هذا التحوُّل. هذا هو التّحدّي الأهمّ الّذي يواجِه أيّ تحوّل اجتماعيّ عظيم له أهدافه، ويرومُ التحرُّك نحو تلك الأهداف والدّعوة لها. ينبغي الحفاظ على هذا الاتّجاه. إذا لم تجرِ صيانة الاتّجاه نحو الأهداف في الثّورة أو في المسيرة الاجتماعيّة، ولم تُحفظ هذه الأهداف، فسوف تنقلب تلك الثّورة إلى ضدّها وتعمل في الاتّجاه المُعاكس لأهدافها»[2].

إنّ معياريّة شخص الإمام قدس سره في الحفاظ على أصالة الثّورة والخطّ الإلهيّ، يأتي

(1) الوصيّة الإلهيّة للإمام الخمينيّ قدس سره، الصّفحة الأخيرة.

(2) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله المناسبة: ولادة الصدّيقة الكبرى فاطمة الزّهراء عليها السلام سيّدة نساء العالمين، المكان: طهران الزّمان: 1431.ق. 1389.ش 2010/5/4م.

كشرطٍ طبيعيٍّ في مرحلة استمراريّة الثّورات، إذ إنَّ البُعْدَ الزّمنيّ والظّرفيّ عن الحالة الأصيلة للثّورة وشروطها يبدأُ من خلال انحرافٍ جزئيٍّ عن أَحدِ أُسسِ الثّورة. لا يحصل الانحراف دفعةً واحدة؛ يعلّل الإمام الخامنئيّ دام ظله ذلك فيقول: «السّبب هو أنَّ تغيير الاتّجاهات والانحراف عن طريق الصّواب - علمًا إنّ الهويّة الأصليّة لكلّ ثورة تكمُن في هذه الاتّجاهات، والواقع أنّ هذه الاتّجاهات الأصليّة هي سيرة الثّورات - يُغيِّر السُّبُل تمامًا، فلا تصل الثّورة إلى أهدافها. وتعود أهمّيّة هذه القضيّة إلى أنّ تغيير الاتّجاهات يحصل بشكلٍ متدرّج وغير محسوس؛ فتغيير الاتّجاه لا يحصل منذ بدايته بـ 180 درجة، بل يحصل بدايةً بزاويةٍ صغيرةٍ جدًّا، وكلّما استمرّ سيكون الابتعاد أكبر عن الطّريق الأصليّ - وهو الصّراط المستقيم - بسبب هذا الانحراف»[1].

فإذاً، المعيار الّذي يقترحه الإمام الخامنئيّ دام ظله الّذي هو أفضل المعايير «الإمام الخمينيّ»، فيقول: «الإمام أفضل معيارٍ ودليل بالنّسبة لنا»[2].

قد يتساءل أحدُهم عن مدى صوابيّة أن يكون شخصٌ غير معصوم مِعيارًا أو ميزانًا على أساسِهِ يجري تصويبُ حركةٍ ثوريّةٍ كبيرة، ثمّ ما هو الدّليل على هذا المنطلق التّأسيسيّ والخطير؟ يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «إذا جاز لنا هذا التّشبيه، برغم كلّ البَون الشّاسع بين الشّبيه والمُشبَّه به، لشبَّهنا الأمر بالكيان المقدّس للرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم؛ حيث يقول القرآن الكريم: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾[3]، النّبيّ نفسه أُسوةٌ، سلوكه وأعماله وأخلاقه كلّها أُسوَة، ويقول تعالى في آية كريمة أخرى: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾[4]، إبراهيم وأنصاره هم أيضًا أُسوَةٌ لنا. وقد ذُكِر هنا حتّى أنصار النّبيّ إبراهيم وأصحابه، حتّى لا يقولَ قائلٌ إنّ النّبيّ معصوم، أو إبراهيم كان معصومًا ولا نستطيع اتّباعَه وأن نسير على خطاه، لا، ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله المناسبة: ولادة الصدّيقة الكبرى فاطمة الزّهراء عليها السلام سيّدة نساء العالمين، المكان: طهران الزّمان: 1431.ق. 1389.ش 2010/5/4م.

(2) المصدر نفسه.

(3) سورة الأحزاب، الآية 21.

(4) سورة الممتحنة، الآية 4.

حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ...﴾[1]، وهذا المعنى يَصْدُق أيضًا على إمامِنا الجليل، تلميذ هذه المدرسة، والسّائر على درب هؤلاء الأنبياء العِظام.

الإمام نفسه أبرز المعايير والعلامات والدلائل، سلوك الإمام وأقواله».

مِنَ الإشارات الذّكيّة للإمام الخامنئيّ دام ظله في ما يتعلّق بهذا المعيار، أنّ هناك علاقة جدليّة أيضًا بين الإمام وخطّه، فحتّى الإمام ذاته من دون هذا المنهج والخطّ لا يكون الإمام، والخطّ من دون الإمام لا يكون هذا الخطّ: «الإمام من دون نهج، الإمام ليس ذلك الإمام الّذي اندفع الشّعب الإيرانيّ إلى الأمام بأنفاسِه ونفسِه وهدايته، فوضعوا الأرواح على أكُفِّهم وقدّموا أبناءَهم إلى أشداق الموت، ولم يبخلوا بأرواحهم وأموالهم، وخلَقوا أعظم أحداث الفترة المعاصرة في هذه المنطقة من العالَم. الإمام من دون نهج الإمام إمامٌ بلا هويّة، وسلْب الهويّة عن الإمام ليس خدمةً للإمام، مباني الإمام مبانٍ واضحة، إذا لم يشأ أحد المجاملة والمحاباة، فإنّ هذه المباني موجودةٌ في كلمات الإمام وخطبه ورسائله وخصوصًا في وصيّته، وهي خلاصةٌ لجميع تلك المواقف».

أُسُس الارتباط بنهج الإمام

1. الارتباط بالله تعالى:

مِنْ أركان الارتباط بهذا الخطّ، الارتباط بالله سبحانه وتعالى ارتباطًا وثيقًا قائمًا على أساس العبوديّة الحقيقيّة لله تعالى والإخلاص له، والاتّكال عليه تعالى في كلّ الحالات؛ وهذا هو قِوام الخطّ وأساسُه الأوّل، ومن دونه لا يبقى لهذا الخطّ شكلٌ ولا محتوى. والتّركيز في هذا الجانب هو المُهمّة الأولى لكلّ الأنبياء والأئمّة عليهم السلام، والدُّعاة إلى الله تعالى. إنّ الدّعوة إلى الله وتوحيده بالعبوديّة هي الحجَرُ الأساس في رسالة الأنبياء عليهم السلام.

يقول الإمام الخمينيّ قدس سره: «وإنّ الّذي نهضتم أنتم أيُّها الشّعب النّبيل المُجاهد

(1) سورة الممتحنة، الآية 4.

من أجله، هو أعلى وأسمى وأثمن هدف ومَقصد طُرِح ويُطرح منذ بدء العالَم في الأزل حتّى نهاية العالم إلى الأبد، إنّه المدرسة الإلهيّة بمعناها الواسع، وعقيدة التّوحيد بأبعادها السّامية، إنّه أساس الخلق وغايته في كلّ آفاق الوجود»[1].

2. الامتداد لنهج الأنبياء عليهم السلام:

إنَّ الجذور الأولى لهذا الخطّ تمتدّ إلى رسالة الأنبياء والأئمّة عليهم السلام، فليس هذا الخطّ خطّاً مبتورًا اجتُثَّ من فوق الأرض ما له من قرار؛ وإنّما هو في أبعاده التّاريخيّة خطّ الأنبياء والمجاهدين والدُّعاة إلى الله تعالى والأئمّة عليهم السلام، وهو بذلك خطّ عريق، أصيل، ذو أصول ثابتة، والإحساس بهذه الحقيقة يعمّق صلة النَّاس العاطفيّة والعقليّة بهذا الخطّ.

يقول الإمام الخمينيّ قدس سره: «وهذا الهدف متجلٍّ في المدرسة المحمّديّة - على صاحبها وآله أفضل الصّلاة والسّلام - بكلّ المعاني والدّرجات والأبعاد. وإنّ كلّ مساعي الأنبياء العِظام والأولياء الكرام - سلام الله عليهم - انصبّت على تحقيق هذا الهدف، وبدونه لا يتيسّر السّبيل إلى الكمال المُطلق ولا إلى الجلال والجمال اللّامتناهيَين، إنّه هو الّذي يجعل «الأرضيِّين» أشرف من «الملكوتيّين»، وما يناله الأرضيّون من الاتّجاه نحوه، لا تناله الموجودات الأخرى في كلّ أرجاء الخليقة، ما خَفِيَ منها وما ظهر»[2].

3. خطّ الجهاد العمليّ:

إنَّ هذا الخطّ ليس خطّا سياسيًّا، وجهاديًّا نظريًّا، تبَلْوَر من خلال تنظيراتٍ علميَّةٍ ودراساتٍ سياسيّةٍ أكاديميّةٍ وحسب، وإنّما تبلورت أبعادُ هذا الخطّ السّياسية والجهاديّة من خلال جبلٍ متراكمٍ من جهادِ العاملين وأتباعهم وجهودهم، وتحرُّكهم، وسهرِهم، ودمائِهم ودموعِهم، ومتاعِبهم خلال طريق ذات الشّوكة، ومن خلال عذابهم، وسجونهم، وهِجرتهم، وفِرارهم، وقرارهم، خلال هذه الفترة المُباركة من عُمْر المسلمين. وهذه الجهود والمجاهدات هي غطاءٌ لنهج الإمام، وليست مجرّد مجموعة نظريّاتٍ ودراساتٍ أكاديميّة،

(1) الجهاد الأكبر، الإمام الخمينيّ قدس سره، المقدّمة.
(2) المصدر نفسه.

بل هو غطاءٌ مبارك يبعث على الاطمئنان والأمن. إنَّ الإنسان العامل، عندما يضع خطاه على هذا الخطّ المُبارك؛ يعلم أنَّه يضع خطاه على طريقٍ شقَّتهُ أُمّة كبيرة من المجاهدين والعاملين في سبيل الله؛ من خلال تجاربهم وآلامهم وعذابِهم، وعملِهم، وتحرُّكهم، وجهادِهم، وما رزقهم الله من نورٍ وبصيرة خلال هذه الحركة المبارَكة.

يؤكّد الإمام الخامنئيّ دام ظله على هذا البُعْد العمليّ فيقول: «إنّ حياة الخمينيّ الكبير وشخصيّته كانتا تجسيدًا للإسلام المحمّديّ الأصيل صلى الله عليه وآله وسلم وتَبلْوُرًا للثّورة الإسلاميّة. لقد كان هو وكلامه وإصبعه المُشيرة كالخضر عليه السلام؛ إذ يهدي السّبيل لهذه الحركة الإلهيّة، المبيِّنة لكلّ النّقاط المُبهَمة، والمُزيلَةِ لكلِّ رَيْب أو ترديد، وسيبقى كذلك أيضًا. ويجب أن لا ينسى الشّعب الإيرانيّ والمسؤولون أكثر من غيرهم هذا الدّرس الكبير مطلَقًا»[1].

4. الارتباط المعنويّ بالإمام الخمينيّ:

مِنْ مميّزات أتباع هذا الخطّ، هو ذلك الارتباط المعنويّ الكبير الّذي يملكونه تجاه الإمام الرّاحل، وهو ارتباطٌ جرّته السّنين الطّويلة من حبّ الإمام ووجوده إلى جانبهم في المرحلة الّتي طغى فيها استكبار الشّاه وأنظمة الطُّغيان العالميّة على الشّعب المُستضعَف في إيران، وحاربوه بكلّ الطّرائق والسُّبل؛ فمن غير المقبول لهؤلاء العُشّاق الّذين اختبروا واقعيّة هذا الخطّ وأصالتِه أن يَحيوا في يومٍ لا وجود فيه لنهج الإمام! يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «إنَّنا نُعلن أمام جميع الشعوب، وبكلّ صراحة، أنَّ فكرة انتهاء عصر الإمام الخمينيّ الّتي يطرحها العدوّ بمئات الأساليب والتّعابير، إنّما هي خداعٌ ومَكْرٌ استكباريّ لا غير، وأنَّ الإمام الخمينيّ سيبقى برغم أنف أمريكا وأعوانها بين شعبه ومجتمعه حاضرًا بكل قوَّته، وأنَّ عصر الإمام الخمينيّ مستمرّ وسيبقى مستمرًّا دائمًا:

نهجُهُ نهجُنا... وهدفُهُ هدفُنا...

وإرشاداتُه هي المِشعل الوضّاء الّذي يُضيء لنا السّبيل»[2].

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، المناسبة: الذّكرى السّنويّة الأولى لرحيل الإمام قدس سره: 6 ذي القعدة 1410 هـ.
(2) المصدر نفسه.

المفاهيم الرّئيسة:

1. إنّ نهج الإمام الخمينيّ هو ذاته خطّ الإسلام المحمّديّ الأصيل.
2. الخطّ المحمديّ الأصيل هو خطّ يعتمد الإسلام دينًا، يبني عليه كلّ الشّؤون المتعلّقة بدنيا الإنسان وبآخرته.
3. ينبغي أن ننظر إلى الإمام الخمينيّ بِوَصفِه «معيارًا»، فالإمام نفسه كوجود معنويّ وفكريّ وتجربة حيّة هو وجود مُندَكٌّ بالثورة ويقوم مقام التّعريف بها كذلك.
4. مِنْ خطوات تحديد معالِم نهج الإمام الخمينيّ قدس سره؛ الالتزام بالتُّراث المؤكَّد للإمام الخمينيّ والحرص على جودة ووضوح عرض أفكار ومواقف الإمام، فمواقف الإمام ومعالِم خطّه لا يصِحُّ المُداهَنة فيها.
5. من أُسُس الارتباط بنهج الإمام، أن ندرك أنّ هذا الارتباط هو نوع من الاتّصال والتعلُّق بالله تعالى، وأنّه امتدادٌ لنهج الأنبياء عليهم السلام، إضافةً إلى أنّه خطّ الجهاد العمليّ، ولا بدّ من إدراك موقعيّة ولاية الفقيه فيه.
6. من المعالِم المُتميِّزة في نهج الإمام الثّبات السّياسيّ الصّامد على مواقفه المبدئيّة تجاه كلّ القضايا السّياسيّة؛ فلم يَحدُث مثلًا تغيير في موقف الثّورة بعد الحُكم تجاه القضيّة الفلسطينيّ، أو تجاه رفض الانتماء إلى الشّرق أو الغرب، وهذه من خصائص نهج الإمام البارزة، وإذا ما وضعنا هذه الخاصّيّة السّياسيّة بإزاء المواقف الانتهازيّة لكثير من الأحزاب والفئات والدّول، فإنّنا سنفهم حينها عُمق مبدئيّة نهج الإمام والسّائرين على هَدْيِه.
7. من مميِّزات أتباع هذا الخطّ أنّهم يملكون ذلك الارتباط المعنويّ الكبير بالإمام الرّاحل؛ وهو ارتباط حيّ ومولِّد لحركيّة وفعاليَّة كبيرة في الأمّة، وعلى مستوى القضايا الّتي تواجهها في العالَم.

الدَّرس الثَّاني

خريطة الإمام الخمينيّ قدس سره والمِعْمار العظيم

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرّف إلى مصطلح «نهج الإمام» في نظَر الإمام الخامنئيّ دام ظله.
2. يشرح مُصطلحَي «المِعْمار» و «خريطة الإمام».
3. يبيّن معالِم شخصيّة الإمام الخمينيّ قدس سره.

ينظّر الإمام الخامنئيّ دام ظله لمفهومٍ استنبطه من خلال فَهمِه وإدراكه لمُجمل حركة الإمام الخمينيّ قدس سره، وعنْوَنها بـ «خريطة الإمام»، وهذه الخريطة تشمل الأصول الّتي تشكّل الدّعامات الأساسيّة لمنهج الإمام الخمينيّ وخطّه، وكذلك تطبيقاتها في أكثر من ميدان، مع إضافات من الإمام الخامنئيّ دام ظله حول الاستراتيجيّات الضّروريّة لاستمراريّة نهج الإمام قدس سره.

في هذا الدّرس سنُقدِّم المرحلة الأولى من التّعرُّف إلى هذه الخريطة، تعريفها وتحديدها، وكذلك استعراض معالِم عامّة لشخصيّة الإمام الخمينيّ قدس سره. بينما سنتعرّض في الدّرس التّالي إلى شرح معالم خريطة الإمام -بإذن الله تعالى-.

أوّلًا: ما هو نهج الإمام؟

يبدو أنّ هناك عددًا من المُصطلحات استخدمها الإمام الخامنئيّ دام ظله في بياناتِه وخطبه ورسائله. وفي الجملة، فإنّ جميع ما قاله يدلّ على مفهوم واحدٍ لا غير؛ فمُصطلحات من قَبيل «نهج الإمام» و«طريق الإمام» «ومَنهج الإمام» و«مدرسة الإمام»، كلُّها تدلّ على موضوع واحد حاضرٍ في ذهن الجميع، ألا وهو «خطّ الإسلام والثّورة»، وهو وإن كان مفهومًا عامًّا، كما يُشير إلى ذلك الإمام الخامنئيّ دام ظله إذ يقول: «ولكن ما هو نهج الإمام ونهجُهُ الّذي يتكرّر ذِكْرُه؟ إذا قُلنا: إنّ نهج الإمام هو الإسلام والثّورة، فهذا الموضوع يُعتبر طرحًا عامًّا»[1]، إلاّ أنّه -حفظه الله- يَستدرك في هذا التّعميم، أنّ هذا التّحديد العامّ إنْ أَضَفْنا إليه الخصائص الذاتيّة للإمام الخمينيّ وسلوكه العمليّ، والّتي يدعوها الإمام الخامنئيّ دام ظله بـ

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، المناسبة: الذّكرى السّنويّة السابعة لرحيل الإمام قدس سره الزّمان والمكان: 16 محرم 1417هـ.

«معايير نهج الإمام» و«معالم نهج الإمام» وغير ذلك من المصطلحات المُشابهة؛ فإنَّ المُتحصّل لدينا سيكون هَيكلًا متكاملًا من الأوصاف الّتي تُعرِّفنا إلى «نهج الإمام».

يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «من الواضح أنّ نهج الإمام هو خطّ الثّورة والإسلام، وما من شخص لديه إعتراض على الإسلام والثّورة، والشّيء القادر على تحقيق تطلُّعات هذا الرّجل الفذّ الّذي يُعَدُّ أبًا لهذه الثّورة، وبانِيًا لإيران الإسلاميّة، هي الاستقامة الّتي أبداها هذا الرّجل العظيم بسلوكِه، ولم يتنازل أمام الأعداء ولم يَرهَبْهم، ولم يتزعزع أمام التّهديدات، وليس بوسع أحدٍ اتّهام الإمام بأنَّ ما فعله كان خلافًا للتّدبير السّليم قطّ؛ فلو أنّ جميع عُقلاء العالم دقّقوا وحلّلوا لأدركوا أنّ السّبيل الصّحيح هو السّبيل الّذي سلكَهُ ذلك الرّجل، وهو السّبيل المؤدّي إلى أهدافه. وكلّ من له هذا الهدف فطريقُهُ هو الطّريق نفسه الّذي سار عليه هذا الشّخص العظيم»[1].

فما هو هذا الطّريق؟ وما هي خريطتُهُ؟ وما هي معالِمُهُ؟

ثانياً: التمسُّك بـ«خريطة الإمام»

لكلّ طريقٍ علامات وإشارات توضِّح الوجهات والهدف، واتّباعها يؤْمِن الإنسان من الضّياع والتّيه، خصوصًا عندما يكون لديه من الخصومِ الأذكياء الّذين لا يمكن أن تأْمَن لهم؛ وذلك لِوَضعِهم لافتاتٍ مزوّرة، وحفرهِم الحُفَر، ووضعِهم المكائد، كي لا يصل الإنسان إلى هدفه.

الطّريق الّذي يَهمُّنا، هو الطّريق الذي أثبتت التّجارب جدواه وفعاليّتها وأصالته.

يتحدّث الإمام الخامنئيّ دام ظله عن الطّريق الّذي ينبغي أن تسلُكهُ الأمّة الإسلاميّة في هذا الوجود، كي تحقّق الأهداف الإلهيّة من كينونة الإنسان على هذه الأرض، فيقول: «ما هي خريطة الطّريق؟ خريطة طريقنا هي أصول إمامِنا العظيم. تلك الأصول الّتي تمكّن الإمام بالاستناد إليها، من تحويل الأمّة المُتخلّفة والذّليلة إلى أمّةٍ متطوّرةٍ وشامخة، هذه الأصول الّتي ستُعينُنا على متابعة المسير، وتشكّل لنا خريطة الطّريق»[2]. وهل هذه

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، المناسبة: الذّكرى السّنويّة السّابعة لرحيل الإمام قدس سره الزّمان والمكان: 16 محرم 1417هـ
(2) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، مراسم الذّكرى الـ «24» لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 1392/03/14 هـ.ش.1434/07/24 هـ.ق.2013/06/04 م.

الخريطة واضحة المعالِم ويمكن الوصول إليها؟ يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «أصول الإمام، أصولٌ واضحة. ولحُسن الحظّ، فإنّ خطابات الإمام وكتابات الإمام، المؤلّفة من 20 مجلّدًا تقريبًا، هي في متناول النّاس، ونجد خُلاصتها في وصيّته الخالدة، ويمكن للجميع الرُّجوع إليها. فليس من الجيّد أن نتمسّك باسم الإمام وننسى أُصولَه، هذا خطأ. ولا يكفي التمسُّك باسم الإمام وذِكْرِ الإمام وحسب، فالإمام خالدٌ بأصوله، بأفكاره وبخريطةِ طريقه للأُمّة. خريطة الطّريق هي بِيَدِ الإمام وقد عرضها علينا. كما أنّ أصول الإمام واضحة»[1].

معرفة خريطة الإمام

استخدم الإمام الخامنئيّ دام ظله تعبير «المِعْمار» في توصيفه للجُّهد الهائل الّذي بذله الإمام الخمينيّ قدس سره في بناء هذه الثّورة الضّخمة، وذلك التحوُّل التّاريخيّ في تاريخ الإسلام السّياسيّ بعد قرونٍ مديدةٍ من الانهيار الكبير، والتّداعي الّذي حصل في بناء الأُمّة الإسلاميّة. لقد احتاجَ النُّهوض مجددًا من تحت الرُّكام، إلى مِعْمارٍ ماهرٍ وأصيلٍ، وذكيٍّ جدًّا، ويملك القدرة على المواجهة باستقامةٍ وثبات. ولكي يبقى ما بناه هذا المِعمار العظيم قائمًا ومستمرًّا، فإنّ من الواجب علينا أن نعرف هذه الخريطة الهندسيّة لهذا المِعْمار بشكلٍ صحيح.

معرفة خريطة المِعْمار

يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «إذا ما أردنا أن نسير ونتقدّم بشكلٍ صحيح، يجب علينا أن نعرف خريطة المِعْمار. إذا كان البحث يدور حول بناءٍ عاديّ كالمُتعارف بين النّاس، إن لم تكن الخريطة في متناول اليد ولم يُعلَم التّصميم الأصليّ، فإنّ البنّائين، ومهما كانوا مُحترِفين ومُتخصّصين، من الممكن أن يشتبهوا ويبنوا بشكلٍ خاطئ. يجب التعرّف إلى الخريطة الأساسيّة للاستفادة من فنّ البناء والإحياء»[2].

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، مراسم الذّكرى الـ «24» لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 1392/03/14 هـ.ش.1434/07/24 هـ.ق.2013/06/04 م.

(2) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى الخامسة والعشرين لرحيل سماحة الإمام الخمينيّ قدس سره في الحرم المطهّر للإمام الخمينيّ قدس سره 4-6-2014م.

معرفة خصوصيّة الخريطة

إنّ خصوصيّة خريطة الإمام الخمينيّ قدس سره هي الّتي تعطي لهذا العمل أهمّيّة مُضاعفة، يُتابع الإمام الخامنئيّ دام ظله: «إنّ الخريطة الّتي رسمها الإمام لم تكن نتاج فِكرِ إنسانٍ وحسب، لقد كان مؤيَّدًا من عند الله، قطعًا ويقينًا، إنّ الإمام العظيم نفسه كان يعرف ذلك ويُقرّ ويُعلن، لقد قال: «إنّ كلّ ما جرى قد حصل بِيَدِ القُدرة الإلهيّة»، ولقد فَهم الأمر بشكلٍ جيّد، ولقد أبصرت عينُه الثّاقبة (ذلك) بشكلٍ عميق»[1].

عدم المعرفة تُوجب الانحراف

إنّ أيَّ إقدامٍ دون معرفةٍ وافية بخطّة السَّير، توجب الوقوع في انحرافاتٍ مُهلكة، خاصّة في زمنٍ تنشدُّ فيه الأنظار إلى نموذج الحُكم الإسلاميّ في إيران. من هنا، ينبغي التّعرُّف بشكلٍ دقيق إلى معالم الخريطة. يُتابع الإمام الخامنئيّ دام ظله فيؤكّد: «إنَّ علينا أن ننتبه، وأن نتعرّف إلى هذه الخريطة كي نتمكّن من متابعة الطّريق. إن لم نعرف الخريطة وانحرفنا عن تصميمها، فإنّنا سنبتعد بالتدرّج يومًا بعد يوم عن المسير الأصليّ والصّراط المستقيم، وحينها سنكون ابتعدنا عن الأهداف المطلوبة. لكي نصل إلى الهدف يجب أن لا نُضلّ الطّريق، ولأجل تحقُّق هذا الأمر، يجب أن تكون الخريطة الأصليّة والأساسيّة دائمًا نُصْب أعيُننا، علينا أن نعرفها ونُدركها جيّدًا»[2].

نموذَج الإمام الخمينيّ الفريد

لقد قدّم الإمام الخمينيّ قدس سره في الفترة الّتي مارس فيها التّصدّي للشّأن العام، كمرجعٍ دينيّ، وكوليٍّ فقيه أُنموذجًا قلّ نظيره؛ وقد انطبعت مسيرة بناء هذه الدّولة بشخصيّة الإمام المُذهلة. لذلك يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «التّعرّف إلى شخصيّة الإمام: إنّ الإمام هو تجسيد عينيّ للحركة العظيمة الّتي أطلقها الشّعب الإيرانيّ؛ ونقل بها تاريخَهُ من حالٍ إلى حال. الإمام هو مؤسّس مدرسة فكريّة وسياسيّة وإجتماعيّة. لقد آمن الشّعب

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّنويّة الـ 25 لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2014/06/04 م.
(2) المصدر نفسه.

الإيرانيّ بهذه المدرسة وهذا الطّريق وهذه الخريطة، وتحرّك ضمن مَسارِها. وإنّ مواصلة هذا الطّريق رهنٌ بالتعرُّف الصّحيح إلى هذه الخريطة. ولا تتسنّى معرفة خريطة الطّريق هذه إلّا عبر معرفة الإمام الّتي نقصد بها معرفة أصول الإمام بشكلٍ صحيح»[1]. طبعًا، معرفة الإمام لا تعني الاقتصار على تتبُّع الحياة الشّخصيّة للإمام من زواياها كافّة، بل المطلوب من المعرفة كما يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «من البديهيّ أنّ بحثَنا حول مباني الإمام الفكريّة، لا في القرارات المرحليّة المختصّة بزمانٍ أو مكانٍ معيّن، البحث حول تلك الشّاكلة الأساس لفِكر إمامنا العظيم، هذا ما نُريد معرفته بشكلٍ صحيح»[2].

معرفة شخصيّة الإمام الخمينيّ مِفتاح الخريطة

يندُر، ولا نقول يستحيل، أن تبرز شخصيّاتٌ جامعةٌ كشخصيّة الإمام الخمينيّ قدس سره، ويتهيّأ لها الظّرف التّاريخيّ المناسب من أجل القيام بهذه الحركة الإصلاحيّة الكبرى. هناك علاقة جدليّة هنا بين شخصيّة الإمام الجامعة ونوعيّة الحركة الاصلاحيّة الّتي قام بها، فبالتّأكيد والمعروف أنّ الأبعاد الفكريّة والمعرفيّة والفقهيّة والفلسفيّة والمعنويّة وغير ذلك، كوّنها الإمام في شخصيّته عبر طَلَب العلم والتّأليف والتّدريس، وكذلك عبر التّجربة العباديّة والمعنويّة، ولكن هناك تجلّيات فكريّة وخبرويّة تأتّت للإمام عبر تماسِّهِ مع النّاس وهمومهم على مدى عقودٍ متطاولة، فضلًا عن التولّي المباشر كوليّ فقيه لشؤونهم كافّة، ممّا أدّى إلى مزيدٍ من صقلٍ لهذه الصّفات المتنوّعة الّتي تحمِلها شخصيّة الإمام، ومزيدٍ من التّماهي مع الحركة الثوريّة والإصلاحيّة الّتي قام بها بمساعدة الشّعب.

يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «لقد كان الإمام فقيهًا كبيرًا، كان فقيهًا بارزًا وكبيرًا، كما كان فيلسوفًا وصاحب رأي في العرفان النّظريّ، وكان يُعدّ رائدًا في هذه المواضيع والمجالات الفنيّة والعلميّة، غير أنّ شخصيّة الإمام البارزة لا ترتبط بأيّ واحدة من هذه الأمور، وإنّما تجلّت شخصيّة الإمام الحقيقيّة في تحقّق آية ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦٓ ﴾[3] بمضمونها

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّادسة والعشرين لرحيل الإمام الخميني قدس سره 2015/06/04م.
(2) المصدر نفسه.
(3) سورة الحجّ، الآية 78.

وتجسيدها، حيث خاض الإمام الخمينيّ العظيم، بما مَلَك من قدرات وإمكانيّات علميّة بارزة، ميدان الجهاد في سبيل الله، واستمرّ في هذا الجهاد حتّى آخر عمره، وأطلَق حركةً عظيمة ليس في بلده وحسب، بل في كلّ أنحاء منطقتنا والعالَم الإسلاميّ، وبمعنى من المعاني في أرجاء العالَم كافّة. وقد أَسفرت هذه الحركة عن نتائج مُنقَطعة النّظير»[1].

مِنْ معالِم شخصيّة الإمام الخمينيّ قدس سره

يذكر الإمام الخامنئيّ دام ظله، وعلى مدى خطبٍ عديدةٍ الكثير من الصّفات الّتي تتمتّع بها شخصيّة الإمام الخمينيّ قدس سره، ونحن هنا سنستعرض أهمَّها تاركين التّفصيل فيها، وكذلك عرْض غيرها إلى ما يلي من الدّروس، بسبب التّداخل الموجود بينها وبين مضامين الدّروس التّالية.

1. الثّقة بالنّفس:

«الإيمان بالذّات - الثّقة بالنّفس - لقد علّم الإمام الشّعب الإيرانيّ معنى «نحن قادرون». وقبل أن يُلقِّن الإمام الشّعب الإيرانيّ ويعلِّمهم «نحن قادرون»، كان قد أحياها في داخله، وقد أظهر وأبرز اعتقاده بقدراته الشخصيّة بالمعنى الحقيقيّ للكلمة. في عاشوراء 1963م، هدّد الإمام - وعلى الرُّغم من غربته وسط طلّاب وأهالي قمّ في المدرسة الفيضيّة - «محمّد رضا شاه» قائلًا: إذا فعلت كذا، وإن أكمَلت على هذا المنوال، فسأطلب من الشّعب الإيرانيّ أن يطرُدك من إيران»... وفي ذلك اليوم الّذي عاد فيه الإمام من منفاه، هدّد حكومة «بَختيار» في خطابه في «جنّة الزّهراء عليها السلام»، وقال بالصّوت الملآن: «سأصفع وجه حكومة «بختيار»، و«سأعيّن الحكومة»، هذه هي الثّقة بالذّات»[2].

2. الإيمان والعمل الصّالح وتزكية النّفس:

«الخصوصيّة الأولى هي الإيمان، والخصوصيّة الثّانية هي العمل الصّالح، وفي آخر الدُّعاء الوارد في الآية الكريمة ذُكرت صفة ثالثة، هي صفة تزكية النّفس وتهذيبها... وهذه

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّادسة والعشرين لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2015/06/04م.
(2) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، مراسم الذّكرى الـ «24» لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2013/06/04 م.

الخصوصيّات الثّلاث كانت تشكّل معالم بارزة في حياة إمامنا قدس سره... وما تشاهدونه اليوم من المكانة الرّفيعة الّتي يحظى بها إمامُنا الرّاحل في جميع أرجاء المعمورة، مردُّها إلى تلك الخِصال الثّلاث الّتي كان يتمتّع بها قدس سره[1]».

3. حُبّ الشّباب له:

«كان - الإمام الخمينيّ- الأستاذ الّذي يجذِبُ إليه الطّلبة الشّباب المتعطّشين منذ الوهلة الأولى، هو الشّخص الّذي كان معروفًا بين تلاميذه في تلك الأيّام باسم «السّيد روح الله»، وكان الشّباب الأفاضل المُثابرون المتحمّسون مجتمعين في حلقة درسه، وفي مثل هذا الجوّ كان دخولنا على قم»[2].

4. المُجدِّد:

«كان الإمام الخمينيّ مَظهرًا للتّجديد العلميّ، والتبحُّر في الفقه والأصول. وكنت قد شاهدت قَبلَهُ أستاذًا بارعًا في مشهد، وهو المرحوم آية الله الميلانيّ، الّذي كان من الفقهاء البارزين، وكان زعيم الحوزة العلميّة في قمّ آنذاك، هو المرحوم آية الله العظمى البروجرديّ، الّذي كان أستاذًا للإمام الخمينيّ، وكان هنالك أيضًا أساتذة كبار آخرون، إلّا أنّ الوسط الدّراسيّ الّذي كان يجتذب إليه القلوب الشابّة المتلهّفة الدّؤوبة المتحفّزة نحو تفعيل الطّاقات، هو درس الفقه والأصول الّذي كان يُلقيه الإمام. وأخذنا نسمع بالتدرّج من الطّلبة الأقدم منّا، بأنّ هذا الرّجل فيلسوفٌ كبيرٌ أيضًا». وكانت دروسُه الفلسفيّة أوّل دروس فلسفيّة في قمّ، غير أنه يرجِّح في الوقت الحاضر تدريس الفقه»[3].

5. شخصيّة الإمام الجامعة:

«ما تجلّى من أبعاد شخصيّته، من بعد تأسيس الحكومة الإسلاميّة كان أهمّ وأعظم

---

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّنويّة الخامسة لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره الزمان: 1373/3/14ش. 1414/12/24هـ 1994/6/4م

(2) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّنويّة العاشرة لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره صلاة الجمعة، الزمان: 1378/3/14ش. 1420/2/19هـ 1999/6/4هـ

(3) المصدر نفسه.

ممّا شوهِدَ منها من ذي قبل؛ فقد انعكست شخصيّتُهُ الفذّة على أُفقَين:

- الأوّل: أُفق القائد والمتصدّي لزمام الأمور.

- والثّاني: أُفق الزّاهد والعارف؛ لأنّ مَزْج هاتَين الصِّفتين، بعضهما ببعض، عملٌ لا يتسنّى للإنسان مشاهدته، إلّا لدى الأنبياء مثل داوود وسُليمان، ومثل خاتم الأنبياء»[1].

6. الإمام قدس سره الإنسان الرّقيق الرّؤوف:

«كان الإمام الخمينيّ من أهل الخَلوة وأهل العبادة والتّضرّع والدُّعاء والبكاء في منتصف اللّيل، وكان من أهل الشّعر والقِيَم والمعاني الرّوحيّة والعرفان والتعلُّق بالله. هذا الشّخص الّذي بثّ الرّعب في أوصال أعداء الشّعب الإيرانيّ، وهذا السّدّ المنيع والجبل الشّامخ، حينما تَعرُض له مواقف عاطفيّة وإنسانيّة تراه إنسانًا رقيقًا ورؤوفًا»[2].

7. الإمام قدس سره والذّوبان في الإرادة الإلهيّة:

«الإمام اكتسب كلّ هذه الصّفات من جرّاء التّقوى والتمسُّك بالدّين والامتثال لأمر الله، وقد بيَّن شخصيًّا هذا المعنى بين طيّات كلامه، ملوِّحًا بأنّ كلّ ما هو موجود إنّما هو مِنْ الله، وكنتيجةٍ للذّوبان في الإرادة الإلهيّة، وأنّ الله هو الّذي نَصَر الثّورة، وهو الّذي حرّر خرَّمشهر، وهو الّذي ألّف بين قلوب أبناء الشّعب؛ فكان ينظر إلى كلّ شـيء من وجهة نظر إلهـيّة، وفي مقابل ذلك فتح الله أمامه أبواب رحمته»[3].

8. الاعتراف بالخطأ:

«هو أيضًا قال مرارًا في كتاباته - خصوصًا في أواخر عمره الشّريف - وفي تصريحاته إنّني أخطأتُ في القضيّة الفلانيّة. واعترفَ بأنّه أخطأ في القضيّة الفُلانيّة والفُلانيّة، وهذا يستلزم درجة كبيرة من العظَمة؛ يجب أن تكون روح الإنسان كبيرة حتّى يستطيع أن يفعل ذلك

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّنويّة العاشرة لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره صلاة الجمعة، الزمان: 1378/3/14ش. 1420/2/19هـ 1999/6/4هـ.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه.

ويَنسِب الخطأ لنَفسِه. كان هذا الجانب المعنويّ في شخصيّة الإمام وأخلاقه. وهذا من الأبعاد المُهمّة للدّرس الّذي يعلّمنا الإمام إيّاه»[1].

9. الارتباط الدّائم بالله:

«وأودّ الإشارة على هامش الحديث إلى أنّ جهاد هذا الرّجل العظيم لا يقتصر على الجهاد السّياسيّ والاجتماعيّ أو الجهاد الفكريّ، وإنّما رافق كلَّ حالات الجهاد هذه جهادُ الباطن وجهادُ النّفس والالتزام بالارتباط الدّائم والمستمرّ بالله سبحانه وتعالى، وهذا درسٌ لنا إذا ما خُضْنا ساحة الجهاد الفكريّ أو الجهاد العلميّ أو الجهاد السياسيّ؛ فهذا لا يعني أنّه يحقّ لنا الإعراض عن هذا القسم من الجهاد»[2].

10. شخصيّة الإمام: جلالٌ وجمال

«لقد بُذلت جهودٌ في حياة الإمام لتحريف شخصيّته؛ فالعدوّ، من جهة كان يحاول منذ انتصار الثّورة، وفي وسائل إعلامه العالميّة أن يُعرّف [يُقدّم] الإمام على هيئة شخصيّة ثوريّة متصلِّبة عنيفة - على غِرارِ ما نعرفه في تاريخ الثّورات الكبيرة والمعروفة في العالَم، كالثّورة الفرنسيّة أو الثّورة الماركسيّة للاتّحاد السّوفياتيّ وبعض الثّورات الأخرى- ومن جهةٍ ثانية كإنسانٍ صُلْب مُتشدّد يُقطِّب حاجِبيه باستمرار، ولا ينظر إلّا إلى مواجهة الأعداء، ولا يتحلّى بأيّة عاطفة ومرونة؛ هكذا كانوا يُعرّفون الإمام وهذا كلام باطل. أجل، فلقد كان الإمام حاسمًا لا يتزلزل، وراسخًا في قراراته - كما سأُشير إلى ذلك - إلّا أنّه كان مَظهرًا للعاطفة واللّطف والمحبّة والمواساة والعشق لله ولخلق الله، ولا سيّما بالنّسبة إلى الطّبقات المظلومة والمُستضعفة في المجتمع، وهذا عمل تصدّى له العدوّ منذ اليوم الأوّل من انتصار الثّورة في وسائل الإعلام العالميّة»[3].

---

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّنويّة الثّانية والعشرون لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره الزمان: 1390/3/14ش. 1432/7/1هـ 2011/6/4م.

(2) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّادسة والعشرين لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2015/06/04.

(3) المصدر نفسه.

المفاهيم الرّئيسة:

1. يُطلق الإمام الخامنئيّ دام ظله عددًا من التّعابير من قَبيل «نهج الإمام» و«طريق الإمام» و«منهج الإمام» و«مدرسة الإمام»، الّتي تدلُّ كلّها على موضوع واحد حاضر في ذهن الجميع، ألا وهو «خطّ الإسلام والثّورة».
2. الإمام الخامنئيّ دام ظله وضع مفهومًا جديدًا حول نهج الإمام؛ إذ وصفه بـ «خريطة الطّريق» الّتي تعني أُصول الإمام الخمينيّ؛ تلك الأصول الّتي تمكّن الإمام بالاستناد إليها من تحويل الأمّة المُتخلِّفة والذَّليلة إلى أمّةٍ متطوّرةٍ وشامخة.
3. من الواجب علينا معرفة خريطة المِعْمار، وإنّ عدم التعرُّف إليها بشكلٍ دقيقٍ ووافٍ سيؤدّي بنا إلى الانحراف من جديد.
4. إنّ أيَّ تشويهٍ أو تحريفٍ يحصل في تحديد معالم شخصيّة الإمام ينعكس على الثّورة وعلى الخطّ الّذي ينتمي إليها. وبالتّالي، فإنّ أحد أهمّ الواجبات في نظره هو صَوْن شخصيّة الإمام من التّحريف العَمْدي أو غير العَمْدي.
5. من معالِم شخصيّة الإمام الخمينيّ: ثقتُهُ بالنّفس، الإيمان والعمل الصّالح وتزكية النّفس، حُبُّ الشّباب له لكونه المجدِّد على المستوى العلميّ والمعرفيّ، شخصيّته جامعة ومتعدِّدة الأبعاد، ذوبانُه في الإرادة الإلهيّة، جَمْعه بين الجلال والجمال في شخصيّته.

الدّرس الثّالث

معالم خريطة الإمام قدس سره (1)

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يشرح مفهوم «خريطة الإمام» بشكل واضح.
2. يبيّن أهمّيّة وجود معالم لخريطة الإمام.
3. يتعرّف إلى معالِم أساسيّة في خريطة الإمام.

ماهيّة خريطة الإمام

إنّ كلّ فكرة إصلاحيةٍ لا تتخّذ شكلًا سياسيًّا في العادة لا يمكن لها أن تعيش طويلًا؛ إذ إنّ كلّ مفهوم أو فكرة أو طرح لا يكون بين يديه قوّة سياسيّة تنفيذيّة وإجرائيّة تفعّل حقيقة الإصلاح، فإنّ النّاس بطبعها ستنصرف عنها وتَقبَل بالبدائل الأخرى الموجودة. ولذلك، طرح الإمام الخمينيّ قدس سره قضيّة ولاية الفقيه على أنّها منهجٌ إلهيٌّ يجمعُ بين المفاهيم والرُّؤى الاعتقاديّة الأصيلة كبُنيةٍ نظريّةٍ، وبين انتخاب أفضل المناهج العمليّة والإجرائيّة كبُنيةٍ فعليَّةٍ لتحقيق ذلك البناء النَّظريّ، وهذه هي الخريطة.

يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله عن هذه الخصوصيّة في حركة الإمام قدس سره: «إنّ خريطة الإمام وعمله الأصليّ كان بناء نَظْم (نظام) مدنيّ - سياسيّ على أساس العقلانيّة الإسلاميّة، وكانت المقدّمة اللّازمة لهذا العمل إزالة النّظام الملكيّ الّذي كان في الوقت عينِه فاسدًا وتابعًا ودكتاتوريًّا! لقد كان للنّظام الملكيّ هذه الصّفات الثّلاث: لقد كان مبتلياً بأنواع الفساد الأخلاقيّ والمادّيّ وغير ذلك، وكذلك كان تابعًا للقوى الأجنبيّة، لإنجلترا حينًا ولأمريكا حينًا آخر»[1].

ومن هنا نفهم أنّ طرح الإمام الخمينيّ قدس سره من أجل قيام حركة ونهضة إصلاحيّة كبرى، كان لا بدّ من أن يمرّ بِقلْع النّظام الفاسد المُسيطر على إحدى أكبرِ الدُّول الإسلاميّة في العالم، والّذي يملك من الثّروات المادّيّة والبشريّة الشّيء الكثير، وتوطِئة الطّريق من أجلِ قيامِ دولة وحُكم يمثّل أفضل ما قدّمَته البشريّة على مستوى الطّرح السّياسيّ، وهو نظريّة «ولاية الفقيه».

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّنويّة الـ 25 لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2014/06/04 م.

يقول الإمام الخامنئيّ دَامَ ظِلُّهُ: «لقد تحقّق على يد الإمام إنجازان كبيران لم يسبق لهما مثيل في تاريخ البلد:

- الأوّل، هو الإطاحة بصرْحِ نظامٍ سُلطَويّ وراثيّ وظالم غير عقلانيّ، حكم هذا البلد آلاف السّنين. هذا الهيكل المُهترئ الخاطئ، حيث يكون زِمام الحُكم بِيَد أفراد يتعاقبون عليه بصورة وراثيّة جيلًا بعد جيل، أو تتوارثه الأجيال المُتعاقبة بالسّيف وسلطة القوّة العسكريّة، خيّمت هذه السنّة المغلوطة والفاقدة للمنطق على البلد آلاف السّنين. لقد كان العمل الكبير والإنجاز الأوّل للإمام إسقاط هذا البناء الخطأ، وتسليم مقاليد الأمور إلى أبناء الشَّعب.

- الإنجاز الكبير الآخر الّذي حقّقه الإمام العظيم هو إقامة دولة ونظام مبنيّ على أساس الإسلام، الأمر الّذي لم يسبق له مثيل في تاريخ الإسلام منذ صدر الإسلام الأوّل. حيث خلّف هذا الجهاد العظيم لإمامنا الكبير مثل هذه النتائج القيّمة. ولذا، حريّ بنا أن نقول حقًّا: «**جاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهادِه**»[1]، كما في القرآن الكريم: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾[2]. وكما يُعبرَّ عن أولياء الدِّين، فإنّ هذا الرّجل العظيم أيضًا مِصْداق لقول: «**جاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهادِه**»[3].

معالِم خريطة نهج الإمام قُدِّسَ سِرُّهُ

1. أصيلة، عصريّة، نشيطة:

إنّ منظومة الإمام الفكريّة تمتلك الخصائص الكاملة لمدرسةٍ فكريّة واجتماعيّة وسياسيّة، وهي تستند بحسب الإمام الخامنئيّ دَامَ ظِلُّهُ إلى عددٍ من الأُسس:

أ. رؤية كونيّة توحيديّة: «فإنّها أوّلًا تستند وتقوم على رؤية كونيّة، وهي عبارة عن

(1) المجلسّي، محمّد باقر بن محمّد تقي، بحار الأنوار الجّامعة لدُرر أخبار الأئمّة الأطهار، دار إحياء التّراث العربّي - بيروت، الطّبعة الثّانية، 1403 هـ، ج33، ص18.

(2) سورة الحج، الآية 78.

(3) خطاب الإمام الخامنئي دَامَ ظِلُّهُ، الذّكرى السّادسة والعشرين لرحيل الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ 2015/06/04م.

التّوحيد، حيث كانت جميع تحرّكاته وكلّ منطقه مبنيًّا على التّوحيد الّذي يشكّل البُنية التّحتيّة الأساس لجميع الأفكار الإسلاميّة»[1].

ب. المواكَبة للعَصر: «كانت تواكِب العَصر، وتطرح القضايا الّتي تُعانيها المجتمعات البشريّة والمجتمع الإيرانيّ، وتشعر بها الجماهير. إنّ مناهضة الاستبداد ومواجهة الاستكبار تحتلّ الصدارة في مدرسة الإمام الفكريّة، وهذا ما كان يُدركه الشَّعب الإيرانيّ، وكذلك الشّعوب المُسلمة، بل الشّعوب غير المُسلمة أيضًا».

ج. الفاعليّة والعملانيّة: «إنّها كانت حيويّة ونشيطة وعمليّة؛ فلم تكن كتقديم بعض الأفكار وطرح النظريّات التّنويريّة ذات الكلمات الجميلة الجذّابة في مقام البحث، وفاقدة للفاعليّة في ميدان العمل. فقد كان منطِق الإمام وفكرُهُ ونهجُهُ منطقًا وفكرًا ونهجًا عمليًّا يُمكن تطبيقه في ساحة العمل، ولهذا السّبب نجح وانتصر وتقدّم إلى الأمام»[2].

2. خطّ حركيٌّ يأبى الغفلة:

يوصِّف الإمام الخامنئيّ دام ظله حالة الشّعب الإيرانيّ الغارق في الغفلة والنّوم، حيث كانت تقوم قوى الاستكبار بسلب وسرقة مقدِّرات الشّعب، ومن ثمّ جاء نهج الإمام ليحوِّل هذه الغفلة إلى يقظةٍ وحركةٍ لا تهدأ، وهذه من المواصفات الذّاتيّة المُهمّة، والّتي يمكن من خلالها قياس مدى نجاح هذا الخطّ وواقعيّته، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «لقد كنّا - نحن الشَّعب الإيرانيّ- شعبًا خاضعًا غارقًا في اليأس وضياع الأهداف، كنّا شعبًا تابعًا، قد فرضوا عليه التخلُّف عمدًا، حيث كانوا يفرضون علينا فكرهم وثقافتهم أيضًا. وكذلك كانوا ينهَبون مواردنا الاقتصاديّة، ويفتحون علينا في الوقت ذاته سيلًا عَفِنًا من العادات البشعة والأخلاق السّيئة، كنّا شعباً هكذا؛ فحوّلنا الإمام إلى شعبٍ متحفّز مُندفعٍ حيويّ ومُفعَمٍ بالأمل، شعبٍ ذي أهدافٍ سامية. ها هو الشَّعب الإيرانيّ اليوم يتمتّع

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّادسة والعشرين لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2015/06/04م.
(2) المصدر نفسه.

بالنّشاط والاندفاع والأمل ويتّجه نحو الأهداف العُليا. ومع أنّه لا يزال بيننا وبين أهدافنا مسافةٌ كبيرة، لكنّ المهمّ أنّنا في حالة حركة، والمهمّ أنّ شعبنا يحمل قوّة التقدّم وهمّة، والمهمّ أنّ شبابنا يؤمنون بقدرتهم على بلوغ هذه الأهداف وتكريس العدالة الاجتماعيّة بالكامل، وتحقيق التقدّم، وجلب الثّروات إلى البلد، وتحويل بلدنا إلى بلدٍ متقدِّم ومُقتدر بما يتناسب وهويّتنا التّاريخيّة. وهذا الأمل يسطع اليوم في بلدنا، وشبابنا يسيرون في هذا الاتّجاه. وقد استفقنا وقُمنا من حالة الإغماء والسُّبات نتيجة ما قامت به نهضة إمامنا الجليل، وما أنجزه هذا الرّجل العظيم»[1].

3. مبدأ الإسلام المُحمديّ:

إنّ اصطلاح الإسلام المُحمديّ الأصيل، هو اصطلاحٌ من الابتكارات الفذَّة للإمام الخمينيّ قدس سره، وأصبح مع الأيّام علامةً فارقة تدلُّ على خطّهِ ونهجِهِ، مقابل أنواع أخرى من «الإسلام»، وهذا الاصطلاح دخَلَ في أدبيّات الثّورة والجّهاد والشُّهداء ووصايا الشُّهداء، بحيث اكتسب تلك الصّفة من القداسة المُتجذِّرة في وجدان الأُمّة، واتّباع نهج الإمام الرّاحل قدس سره.

يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «الأمر المهمّ الآخر في مدرسة الإمام، هو إثبات الإسلام المحمّدي الأصيل ورفض الإسلام الأمريكيّ. فقد وضع الإمام الإسلام الأصيل في مقابل الإسلام الأمريكيّ، فما هو الإسلام الأمريكيّ؟ إنّه في عصرنا وفي عصر الإمام وفي جميع العصور - في حدود ما نعلم، وقد يكون الأمر على الشّاكلة نفسها في المستقبل أيضًا - لا يخرج عن اتّجاهين: الأوّل الإسلام العلمانيّ، والآخر الإسلام المُتحجّر. من هنا، لطالما رأينا الإمام يُدخِل الّذين يحملون رؤية علمانيّة - ويفصلون المجتمع والسّلوك الاجتماعيّ للنّاس عن الدّين الإسلاميّ - في عداد الّذين ينظرون إلى الدّين بنظرةٍ مُتحجّرة رجعيّة يستعصي على المجدِّدين فهمها، والنّظرة المُتعصّبة لأُسس خاطئة، ولطالما وضعهم الإمام إلى جانب بعضهم بعضاً. ولو أَجَلْتُم بأبصاركم لوجدتم أنّ كِلا هذَين التيارين موجودٌ في العالَم

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّادسة والعشرين لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2015/06/04م.

الإسلاميّ، وكلاهُما مدعوم من قِبَل قوى الهيمنة في العالَم ومن قِبَل أمريكا. واليوم أيضًا نجد أمريكا و«إسرائيل» تدعمان تيّارات مُنحرفة، كداعش والقاعدة وأمثالهما، وتُساندان في الوقت ذاته التّيارات الإسلاميّة في اسمها، والغريبة في عملها، تجاه الإسلام والفقه الإسلاميّ والشّريعة الإسلاميّة»[1].

بالطّبع، في هذا العالم هناك ادّعاءات كثيرة، وقد تكون مُنطلِقة من نيّاتٍ سليمة ومن إرادة حقيقيّة للاقتداء بالنّبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، والوصول إلى بناء منظومة الإسلام الأكثر قُربًا من الإسلام المُحمّديّ، ولكنّ المشكلة دومًا تكون في آليّة استنباط أُسُسس هذه المنظومة، فماذا كانت رؤية الإمام الخمينيّ قدس سره لهذه الآليّة؟

يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «إنّ الإسلام الأصيل من منظار الإمام الخمينيّ هو إسلامٌ قائمٌ على أساس الكتاب والسُّنّة، ويمكن استنباطه والتّوصُّل إليه من خلال رؤية واضحة ومعرفة الزّمان والمكان، والاستعانة بآليّة ومنهجيّة علميّة مقبولة ومُتكاملة في الحوزات العلميّة. وليس الأمر بحيث يجري التّغافل عن طريقة الاستنباط، ويكون بوسع أيّ أحد إمكانيّة الرُّجوع إلى القرآن واستنباط أُسُس الحركة الاجتماعيّة منه، بل توجد لذلك آليّة ومنهجيّة عمليّة ومدروسة، وهناك من يستطيع النُّهوض بهذا الأمر، هذا هو الإسلام الأصيل في رؤية إمامنا الكبير»[2].

ومن علامات الإسلام المحمّديّ الأصيل عند الإمام قدس سره، الذي يعتبر عماداً أساسيّاً في نهجه، هو الإسلام الرافض للظلم والاستكبار. ويُطبّق الإمام الخامنئيّ دام ظله هذه المنهجيّة على الواقع السّياسيّ المعاصر، فيقول: «إنّ إسلام وعّاظ السَّلاطين - ولطالما عبّر الإمام عنه بهذا التّعبير - والإسلام الدّاعشيّ من جانب، والإسلام الّذي لا يَعبأ بجرائم الصّهاينة وجرائم الأمريكيّين من جانب آخر، الإسلام الّذي يَشْخَص ببصره نحو أمريكا والقوى العظمى ويكون رهنَ إشارتها، كلاهُما يصُبّان في مجرىً واحد، وينتهيان إلى مصدرٍ واحد، وهما مرفوضان في رؤية الإمام. فإنّ الإسلام الّذي يرسمه الإمام الخمينيّ لنا، يقف في مواجهة

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّادسة والعشرين لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2015/06/04م.
(2) المصدر نفسه.

كلّ هذه الأنماط. والّذي يتّبع الإمام ويسير على نهجه ينبغي أن يرسم حدودًا تفصله عن الإسلام المتحجّر والإسلام العلمانيّ، ويجب أن يكتشف الإسلام الأصيل ويتحرّك وفقه. هذه هي واحدة من مبادئ الإمام، وهي ليست من تلك الأمور الّتي ذكرها الإمام لمرّة واحدة، وإنّما هي منتشرة في جميع آثاره وكلماته»[1].

4. الاتّكال على العَون الإلهيّ:

قد يخطر للوهلة الأولى، أنّ مُفردة الثّقة والتّوكُّل على الله هي من مفردات السّلوك الفرديّ للإنسان مع الله سبحانه وتعالى، أمّا أن تكون ميزة جماعيّة تُشكّل علامة على خطّ ثوريّ وحركيّ، فهذا أمرٌ يشرحه الإمام الخامنئيّ دام ظله، فيقول: «الثّقة بصِدق وعد الله، والنُّقطة الّتي تُقابلها هي عدم الثّقة بالقوى المُستكبرة والمُهيمنة في العالَم، هذا هو أحد أركان مدرسة الإمام المتمثّل في الاتّكال على قدرة الله؛ فقد وعد الله تعالى المؤمنين، ولعن من لا يؤمن بهذا الوعد في قوله: ﴿ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ ﴾[2]، ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم ﴾[3]، وهم أولئك ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾»[4].

ويقول في مورد آخر: «إنّ من ركائز فِكْر الإمام الخمينيّ العظيم، الإيمان بوعد الله والتّصديق به، حيث قال سبحانه: ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ ﴾[5]. والنُّقطة المُقابلة لذلك [لسوء الظّنّ بالله] هي عدم الاعتماد على إغراءات الأعداء والمستكبرين والقوى العالميّة مُطلقًا، وهذا ما هو مشهود في عمل الإمام وسلوكه وخطاباته بالكامل. ولقد أدّى هذا الاتّكال على قدرة الله والثّقة به إلى أن يكون الإمام الخمينيّ العظيم صريحًا واضحًا في اتّخاذ المواقف الثوريّة، حيث كان الإمام يتحدّث بصراحة، ويُبيّن ما كان يعتقد به دونما غموض وإبهام؛ وذلك لاتّكاله على الله، لا لأنّه لم يكن يعلم بأنّ ذلك سيؤول إلى أن تنزعج

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّادسة والعشرين لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2015/06/04م.
(2) سورة التوبة، الآية 68.
(3) سورة المجادلة، الآية 14.
(4) سورة الفتح، الآية 6.
(5) سورة محمّد، الآية 7.

القوى الكبرى وتثور ثائرتها، بل كان يعلم بذلك، ولكنّه كان يُؤمن بقدرة الله ومَدَدِه ونَصْرِه»[1].

5. الدّفاع عن المظلومين والمُستضعفين داخل الأمّة في وجه الطّبقات الحاكمة:

وهو من الأمور المميّزة لهذا الخطّ والنّهج، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «لعلّ الدّفاع عن المستضعفين من أكثر المواضيع الّتي تناولها الإمام في كلماته، وهو من الخطوط البيّنة في رؤية الإمام، ومن الأصول المسلَّمة، حيث يدعو الجميع إلى العمل وبذل الجهد لاستئصال الفقر، والسّعي في مساعدة المحرومين لإنهاء حالة الحرمان، ومساندة المحرومين بكلّ وسعهم. وكان من جانب آخر يُحذّر المسؤولين من التخلُّق بأخلاق أهل القصور، والّذي وردت الإشارة إليه في القرآن الكريم أيضًا: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾[2]. وكان يؤكّد مرارًا على الاعتماد والثّقة بوفاء الطّبقات الضّعيفة، ويُكرّر القول بأنّ سكّان الأكواخ والفقراء والمحرومين هم الّذين ملؤوا السّاحات، برغم حرمانهم، من دون اعتراض، وهم الّذين يحضُرون في ميادين الخطر، بينما الطّبقات المُترفة هي أكثر من تُبدي استياءها وتبرُّمها حين تقع الحوادث وتظهر المشاكل في كثيرٍ من الأحيان»[3].

6. العداء لأمريكا، الشّيطان الأكبر:

وهذا المصطلح هو أيضًا من الاصطلاحات المُبتَكرة للإمام الخمينيّ قدس سره، وهو إضافة إلى أنّه تطبيق لمنظومة الإمام الفكريّة المُبتَنية على منطق الإسلام المحمّديّ الأصيل، فإنّه أضحى أصلًا مُستقلًّا وله تطبيقات وتفريعات كثيرة في مختلف النّواحي الفكريّة والسّياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والمعنويّة الّتي واجهها الإمام الخمينيّ قدس سره في حرَكَتِه المباركة، والّتي بالطّبع لا يزال نَهجه وخطّه على المنطق ذاته من العداء للشّيطان الأكبر في المجالات كافّة، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله:

«الإمام يقِف بصراحة في الجبهة المُناهضة للقوى الدّوليّة المُتغطرسة والمُستكْبِرة دونما

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّادسة والعشرين لرحيل الإمام الخميني قدس سره 2015/06/04م.
(2) سورة إبراهيم، الآية 45.
(3) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّادسة والعشرين لرحيل الإمام الخميني قدس سره 2015/06/04م.

مراعاة ومجاملة. وحين يقف عُتاة العالَم والمُستكبرون والقوى المتسلّطة في مواجهة المظلومين، كان الإمام إلى جانب المظلومين، ويُصرّح بذلك من دون موارَبة وتقيّة، وكان مُدافعًا جادًّا عن المظلومين، ومقاومًا لا يتهاون في عدائه للمُستكبرين. إنّ مصطلح «الشّيطان الأكبر» في وصف أمريكا كان إبداعًا مُدهشًا من إبداعات الإمام. ولهذا التّعبير «الشّيطان الأكبر» امتدادات معرفيّة وعمليّة كثيرة؛ إذ إنّ تعامُلَك سيكون واضحًا ومشاعرك ستكون جليّة في حقّ ذلك الشّخص أو الطّرف الّذي تعتبره شيطانًا. وكان الإمام يحمل هذا الشّعور نفسه تجاه أمريكا حتّى آخر حياته، وإلى جانب استخدامه تعبير «الشّيطان الأكبر»، فإنّه كان يؤمن به إيمانًا راسخًا»[1].

7. الوقوف إلى جانب المظلوم أينما كان، ضدّ الظّالم:

وهذا المُعطى هو من المُعطيات المميّزة لنهج الإمام الخمينيّ الرّاحل، والّذي طبّقَهُ في الكثير من السّاحات على الرّغم من حداثة سنّ الثّورة الإسلاميّة وهجوم الأعداء عليها من كلّ ناحية، فإنّ الإمام الخمينيّ، وتطبيقًا لدعوته التّحرُّرية العالميّة، وقف إلى جانب الشّعب الفلسطينيّ في نضاله، وشعب لبنان في مظلوميّته، والصّومال وأفغانستان، والشّعب المظلوم حينها في جنوب أفريقيا ضدّ النّظام العُنصريّ وغير ذلك، والّذي استمرّ عليه أتباع الإمام الخمينيّ في هذه السّاحات وساحات أخرى مُستجدة، برغم أنّه في ميزان الرّبح والخسارة السّياسيّ والاقتصاديّ قد لا يكون ذلك في مصلحة الجمهوريّة الإسلاميّة على المَدى المنظور، إلّا أنّ ذلك يتماهى مع منطق الإمام الخمينيّ قدس سره وفلسفة نهجه، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله في هذا الصّدد:

«دَعَمَ الإمام الخمينيّ الجليل، على مدى هذه الأعوام الطّويلة، فلسطين ودافَع عنها، كما ودافَع عن أفغانستان أيضًا؛ ففي اليوم الّذي دخل الاتّحاد السّوفياتيّ أفغانستان، وبرغم أنّنا كنّا نُعاني في مواجهة عداوة أمريكا لنا، والحكومات في مثل هذه الظّروف حينما تُعادي طرفًا غالبًا ما تتصالح وتنسجم مع الطّرف الآخر، بَيْد أنّ إمامنا العظيم

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّادسة والعشرين لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2015/06/04م.

اتّخذ موقفًا حاسمًا ضدّ الاتّحاد السّوفياتيّ، وهو موقف لم تتّخذه حتّى بعض الحكومات ذات الميول الغربيّة. ولكنّ الإمام دَعَمَ شعب أفغانستان من دون أيّ ملاحظة ومجاملة، ودَعَم شعب لبنان، ودعَمَ الفلسطينيّين بكلّ مودّة وصفاء، هذا هو منطق الإمام الخمينيّ إزاء مواجهة الاستكبار، وبهذا المنطق يُمكن اليوم تشخيص قضايا العالَم وفَهْم الموقف السّليم»[1].

وعن تجليّات هذا الخطّ الخمينيّ في حياتنا السّياسية المُعاصرة يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «إنّنا في الوقت الرّاهن، وبالقدر نفسه الّذي نُعارض به السُّلوك الهمجيّ الغاشم لتنظيم داعش في العراق وسورية، فإنّنا نُعارض السّلوك الظّالم للشّرطة الفدراليّة الأمريكيّة داخل أمريكا -وكلاهما شبيه بالآخر- وبالدّرجة نفسها الّتي نُعارض بها الحصار الظّالم ضدّ أهالي غزّة المظلومين، نُعارض قصف الشَّعب اليمنيّ المظلوم الّذي لا مأوى له، وبالقدر نفسه الّذي نُعارض به التّشدُّد ضدّ الشَّعب البحراني، نُعارض هجمات الطّائرات الأمريكيّة من دون طيّار ضدّ شعبَي أفغانستان وباكستان، هذا المنطق هو منطق الإمام الخمينيّ. ففي أيّ موضع يحلّ الظُّلم فيه يظهر هناك طرفان: ظالمٌ ومظلوم، نحن نكون للمظلوم عونًا وللظّالم خصمًا، وهذا موقف كان الإمام الخمينيّ يتّخذه بكلّ صراحة، ويُعدّ من خطّوطه الرّئيسة»[2].

8. الاستقلال عن الاستكبار:

المبدأ والأصل الآخر من المبادئ الأساسيّة والخطوط الرّئيسة لِفِكْر الإمام، هو قضيّة الاستقلال ورفض الرُّضوخ للهَيمنة: «ولقد قام العدوّ، على مدى هذه الأعوام، بالكثير من الأعمال والأنشطة المُعادية لبلدنا وشعبنا بهدف النَّيل من استقلال البلد، وراح يستهدف هذا الاستقلال، سواءٌ من خلال فرض الحظر أو التّهديد. يجب على الجميع التّحلّي بالوعي ومعرفة أهداف العدوّ، وهذا أيضًا من الخطّوط الرّئيسة».

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّادسة والعشرين لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2015/06/04م.
(2) المصدر نفسه.

9. نظرةٌ تستوعب الأمّة:

من الأصول الأساس الأخرى لفِكْر الإمام ونهجه وخطّه، قضيّة الخطّاب الوحدَويّ والتنبُّه للمؤامرات الهادفة للفتنة والتّفرقة، سواءٌ التّفرقة الدّينيّة أو الطّائفيّة بين الشّيعة والسنّة، أو التّفرقة القوميّة بين الفُرس والعرب والقوميّات، إذ يعتبر الإمام الخامنئيّ دام ظله أنّ من سياسيات العدوّ الرّئيسة زرع الفتن وبثّ الفرقة، يقول دام ظله: «لقد اعتمد إمامنا الجليل منذ البداية على الوحدة الوطنيّة وتوحيد الصّفوف بين أبناء الشَّعب بشكلٍ لا نظير له، وهذا بحدّ ذاته هو أحد الخطوط والمبادئ؛ فما علينا اليوم إلّا اتّباع هذا النّهج وهذا الخطّ»[1].

ويتفرَّع عن هذا الأمر قضيّة الخِلاف الّذي يتمّ إثارَتَه من قبل الاستكبار العالميّ وأداوته، بين المسلمين وبين شعوب المنطقة، واستخدام الوسائل كافّة في ذلك، والّتي من ضمنها تشويه المفاهيم أو إفراغها من مضمونها وتحريفها بشكلٍ يخدُم هذا الهدف، يشرح ذلك الإمام الخامنئيّ دام ظله: «إنَّ قضيّة إثارة الفرقة في العالَم الإسلاميّ هي إحدى سياسات الاستكبار الرّئيسة؛ لقد بلغ الأمر بالأمريكيّين حاليًّا إلى التّصريح بوضوح واستخدام عبارات التّشيُّع والتّسنُّن والتّحدُّث عن الإسلام الشّيعيّ والإسلام السُّنّيّ، والكلام بأنّهم يدعمون طرفًا، ويهاجمون الطّرف الآخر، في حين أنّ الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران كانت، ومنذ اليوم الأوّل لانطلاق الثّورة، تحمل رؤية وَحْدَويّة ونظرة مساواة في مجال الفروقات الطّائفيّة. فلقد تعاملنا مع إخواننا الفلسطينيّين، وهم سُنّة، بمثل ما تعاملنا مع الإخوة في حزب الله في لبنان، وهم شيعة، وكان تعاملنا واحدًا في كلّ مكان. لقد كانت نظرة إمامنا العظيم في داخل البلد وفي العالَم الإسلاميّ، وكذلك نظرة الجمهوريّة الإسلاميّة، هي نظرة بناء أُمّة، ونظرةٌ تستوعب الأمّة الإسلاميّة»[2].

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّادسة والعشرين لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2015/06/04م.
(2) المصدر نفسه.

المفاهيم الرئيسة:

1. إنّ قلع النّظام الشّاهنشاهيّ المُستبدّ كان خطوة ضروريّة في سبيل قيام حركة إصلاحيّة كُبرى في المجتمع المسلم في إيران. مضافًا إلى تبنّي نظريّة «ولاية الفقيه» كنظريّة سياسيّة مُتكاملة، تُعنى برُشد الإنسانيّة وسَوْقِها نحو مدارج الكمال الدّنيويّ والأخرويّ.
2. من ميِّزات منظومة الإمام أنّها منظومة أصيلة وعصريّة ونشيطة.
3. تستند منظومة الإمام إلى رؤية كونيّة توحيديّة، مواكِبَة للعصر، ولها فاعليّة وعملانيّة عالية جدًّا، وأنّها خطٌ حركيّ يأْبى الغفلةَ والخُنوع.
4. إنّ اصطلاح الإسلام المحمّديّ الأصيل، هو اصطلاح من الابتكارات الفذّة للإمام الخمينيّ قدس سره، ويقع إزاء أنواع أخرى من «الإسلام»، كالإسلام المتحجّر والإسلام العلمانيّ.
5. الإسلام المحمّديّ الأصيل يعني الإسلام القائم على أساس الكِتاب والسُنّة، والّذي يمكن استنباطه والتوصّل إليه من خلال رؤية واضحة ومعرفة الزّمان والمكان، والاستعانة بآليّة ومنهجيّة علميّة مقبولة ومُتكاملة في الحوزات العلميّة.
6. من علامات الإسلام غير المحمّديّ الأصيل، أنّه إسلامٌ لا يعبأ بجرائم الصّهاينة وجرائم الأمريكيّين، بل يَشْخَص بِبَصره نحو أمريكا والقوى العظمى ويكون رَهنَ إشارتها.
7. من ركائز خطّ الإمام ومنهجه الاتّكال على العَوْن الإلهيّ، والتّصديق به، وعدم سوء الظّن به تعالى، وعدم الاعتماد على مُغريات الأعداء والاستكبار العالميّ.
8. ومن المِيْزات الخاصّة بنهج الإمام العداء لأمريكا، الشّيطان الأكبر، كأعظم قوّة استكباريّة على وجه الكرة الأرضيّة، والّتي يمتدُّ ظلمها وطغيانها إلى جميع المجالات الفكريّة والسياسيّة والاقتصاديّة وغير ذلك.

الدّرس الرّابع

معالِم خريطة الإمام قدس سره (2)

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يُحلّل البُعْد الاجتماعيّ والفرديّ في خريطة الإمام.
2. يَتعرّف إلى عدد من ميّزات خريطة الإمام.
3. يعرف بُعْدَ التّكامل في خريطة الإمام.

من العناصر المُكمّلة لإيضاح معالم خريطة الإمام، جملة العناصر أدناه:

1. العبادة والمُبادرة الفرديّة:

وهي من السّمات المُهمّة للإمام الخمينيّ قدس سره، والّتي يركّز فيها الإمام الخامنئيّ دام ظله كعلامة فارقة في نهج الإمام الخمينيّ، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «الاهتمام بالتّعبُّد والعمل الفرديّ والصّمود مقابل سُلطة شيطان النّفس والوساوس النّفسيّة، هذان المطلبان المُهمّان وهذان المَيدانان للصّراع لم يكن الإمام يفصلُهما عن بعضهما. كان يقف في حلبة المجتمع والسّياسة في مُقابلة الشّيطان الأكبر وشياطين القوى، وكان يناضل في ساحة النّفس الآدميّة وباطن وجود الإنسان ويحارب نفسه، وعلى كلّ حال كان يُصرّ على التّعبُّد في العمل الإنسانيّ والفرديّ والشّخصيّ»[1].

2. الشّعب ركيزة الانطلاق:

لا يوجد في نهج الإمام الخمينيّ أيّ أمل لنجاح التحرُّك والثّورة إذا لم ينطلق ذلك من الشّعب، ومن قناعة هذا الشّعب بضرورة التّغيير، وبالإيمان بقدرة الشّعب على التحوُّل، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «كان الإمام يتكلّم مع الشّعوب، وكان يعتقد أنّ تحوُّلات العالم الكبيرة إذا حدثت بأيدي الشّعوب فلن تَقبل الهزيمة والانكسار، وتستطيع الشّعوب أن تُوجِدَ تحوُّلًا في الدّنيا وتغيِّر المحيط الّذي تعيش فيه»[2].

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّنويّة الثّانية لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 1991/6/4م.
(2) المصدر نفسه.

3. الإصرار على إيجاد علاقات صداقة صحيحة مع الدُّول:

طبعاً باستثناء الدّول الّتي تُوجِد أدلّة قويّة منطقيّة لعدم إنشاء علاقة مع أيّ منها، فضلًا عن الفصل الموضوعيّ الّذي ينبغي أن نلتفت إليه بين الحكومات والشّعوب، فلطالما حَكَمت حكوماتٌ مستبدّةٌ شعوبًا طيّبة وغير خيبثة، فالعداء ينبغي أن يكون مشخَّصًا.

يقول الإمام الخامنئيّ دَامَ ظِلُّهُ: «لقد علّمَنا الإمام أنّ الجّمهوريّة الإسلاميّة تستطيع، بل يجب أن تكون لها علاقات صحيحة مع الدّول على مستوى العالم أجمع. وبالطّبع، فالعلاقة مع أمريكا مرفوضة، لأنّها دولة مُستكبرة ومتجاوِزة وظالمة، وفي حالة حرب وصراع مع الإسلام والجمهوريّة الإسلاميّة. وكذلك نرفض العلاقة مع النّظام الصّهيونيّ والنّظام العنصريّ في جنوب أفريقيا. أمّا فيما يتعلّق بالدّول الأُخرى، فالأصل هو إنشاء روابط، مع ملاحظة مصالح نظام الجمهوريّة الإسلاميّة»[1].

4. خصوصيّة الصّراع مع «إسرائيل»:

وهذا الأمر يكاد يكون من بديهيّات هذا الخطّ والنّهج، بينما يتراجع حضور هذا الأمر البديهيّ في كثيرٍ من الأوساط الدّوليّة والشّعبيّة، يقول الإمام الخامنئيّ دَامَ ظِلُّهُ حول هذا الأمر: «مسألة الصّراع مع «إسرائيل» لها وضع خاصّ في منطِق الإمام وطريقته وتخطيطه. ففي نظر الإمام، مسألة الصّراع مع الصّهاينة من الأصول الّتي لا يجوز صرف النّظر عنها من قِبَل الشّعوب الإسلاميّة بأيّ وجه؛ وذلك لأنّ الإمام العظيم قد شخَّص بدِقَّة الدَّور المُخرِّب والهدّام لهذا الكيان المفروض سنوات قبل الثّورة»[2].

5. بناء النّموذج العالميّ:

وهذه النُّقطة من النّقاط البالغة الأهميّة في نهج الإمام قُدِّسَ سِرُّهُ؛ إذ إنّ أصْل فكرة إنشاء الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران على قاعدة الولاية، كانت تتضمَّن بناء نموذج عالميّ على أُسُس الإسلام المحمّديّ الأصيل، والّذي من خلاله يمكن الدّعوة إلى هذا الخطّ التّحرّريّ

(1) خطاب الإمام الخامنئي دَامَ ظِلُّهُ، الذّكرى السّنويّة الثّالثة لرحيل الإمام الخمينيّ قُدِّسَ سِرُّهُ 1992/6/4م.
(2) المصدر نفسه.

المُحبّ للإنسانيّة، من دون الدّخول في أيّ أسلوب من أساليب الاستعمار في قسرِه للدّول والمجتمعات تحت لوائه، غصبًا وبالإكراه. يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «لا بدَّ من التأكيد على إعادة بناء البلاد وعرض نموذج عمليّ للعالم، فقد كان لهذه المسألة موضع مهمّ في نظر الإمام في الشّهور الأخيرة من عُمرِه المبارك. لقد أصرّ على إعادة بناء هذه البلاد، سواءٌ من اللّحاظ الاقتصاديّ والأعمال الأساسيّة، أو من لِحاظ تأمين الدّخل العائد للشّعب والدولة، حتّى نتمكّن من أن نقدِّم نموذجًا عينيًّا وعمليًّا من البناء الإسلاميّ»[1].

6. إيمانٌ وعملٌ صالحٌ وتزكية:

«هناك ثلاث خصوصيّات بارزة في حياة الإمام -رضوان الله عليه- وردَت في تلك الآية الكريمة؛ فالخصوصيّة الأولى هي الإيمان، والخصوصيّة الثّانية هي العمل الصالح، وفي آخر الدُّعاء الوارد في الآية الكريمة ذُكرت صفة ثالثة، هي صفة تزكية النّفس وتهذيبها. وهذه الخصوصيّات الثّلاث كانت تشكِّل معالم بارزة في حياة إمامنا -رضوان الله عليه-، فقد كان إيمان ذلك الرّجل العظيم استثنائيًّا ونموذجًا فريدًا؛ أمّا عمله الصّالح فقد كان من العظمة بمكان بحيث لم يتسنَّ لأحدٍ القيام بمثلِه بعد صدر الإسلام حتّى اليوم، يعني تشكيل الجمهوريّة الإسلاميّة الّذي سأُشير إليه باختصار فيما بعد؛ وأمّا تزكية وتهذيب النّفس فقد بلغت عنده مستوى بحيث كان وهو في ذروة اقتداره وشهرته ومحبوبيّته، قد اختار لنفسه أن يكون في أَوْج العبوديّة للّه سبحانه وتعالى»[2].

7. وجود الكادِر الصّالح:

من مِيْزات هذا الخطّ أنّه يسير ويعمل نحو وجهَته الصّحيحة في ظلِّ وجود كادرٍ له خصائص محدَّدة، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «إنّ الّذين يقومون على إدارته، أي الجهاز، هم أُناس يتمتّعون بالإيمان والصّلاح والورع والتّقوى والإخلاص. إذاً، فإمامُنا استطاع إيجاد مثل هذه الحكومة الّتي تهدف إلى إيجاد المجتمع المثاليّ الّذي يقوم على أساس الإسلام،

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السنوية الثالثة لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 1992/6/4م.
(2) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السنوية الخامسة لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 1994/6/4م.

والّتي لم يوجد لها مثيل على طول التّاريخ إلّا في صدر الإسلام، أو في فترات استثنائيّة ونادرة من تاريخ الأمّة الإسلاميّة. وعند المقارنة سيتبيَّن لنا البَون الشّاسع بين النّظام الإسلاميّ الّذي أقامه الإمام، وبين الأنظمة الّتي تدَّعي قيادة العالم؛ لأنّ الجّهاز السّياسيّ في هذا النّظام هو جهاز سليم وغير ملوّث، ويتألّف من أُناسٍ ليسوا من طلّاب الدّنيا وهدفهم الأوّل والأخير هو الإسلام؛ والعمل على تنفيذ الأحكام الإلهيّة، وهدفهم الأكبر من وراء كلّ ذلك هو نَيْل رضا اللّه سبحانه وتعالى.

والنّموذج البارز لهذا الأمر هو ذلك الرّجل العظيم نفسه، الّذي قام بتأسيس هذا النّظام المقدّس. وقد أثبت المسؤولون في النّظام الإسلاميّ خلال هذه السّنوات المليئة بالصّعاب الّتي أعقبت انتصار الثّورة الإسلاميّة، أنّهم اقتبسوا من نور ذلك الوجه الوضّاء، ممّا جعل بعضهم يتعالى حتّى على الوصف»[1].

8. الاستقامة الحُسينيّة:

إنّ أوجه الشّبه بين انتفاضة الإمام الرّاحل والنّهضة الحسينيّة كثيرةٌ بحسب رأي الإمام الخامنئيّ دام ظله، إذ يقول في هذه النّقطة: «أنتم على وعي بأنّ لحركة الإمام قدس سره أوْجُه شَبَهٍ كثيرة بالنّهضة الحسينيّة، وتُقارب أنْ تكون صورةً مُستقاة منها. ومن جملة أوجُه الشّبه البارزة في كِلتا الحركَتين جانب «الاستقامة»، فإمامُنا الكبير، أوّلًا حذا في هذه الخاصّيّة حذوَ الإمام الحسين عليه السلام بالكامل؛ لذلك نجح في إيصال الثّورة إلى شاطئ النّصر، ثانيًا كان سببًا في ضمان ديمومَتِها من بعدِه»[2].

9. مرجعيّة خطّ الأنبياء عليهم السلام والقرآن الكريم:

«لاحظتم أنّ الإمام القائد انتهج في التّخطيط لهذه الثّورة وفي بلْوَرة النّظام السّياسيّ على أُسُسِها؛ أي إقامة حكومَة ونظام الجمهوريّة الإسلاميّة بفضل اللّه ورعايته، نهجًا كنهج الأنبياء والأولياء المُرتبطين بمصدر الغيب. وهذا يعود إلى محبّة الإمام للقرآن، ولِكَونه

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السنوية الخامسة لرحيل الإمام الخميني قدس سره 1994/6/4م.
(2) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السنويّة السابعة لرحيل الإمام الخميني قدس سره 1996/6/4م.

تلميذًا في مدرسة القرآن، ولِأُنسه بالقرآن، ولأنّه كان يستعين به، وقد جعل منه مَنهجًا لحياته، وهذه واحدة من النّتائج والانعكاسات الكبرى والباهرة لتلك الحقيقة»[1].

10. العلاقة الفعّالة بين النُّخبة والجّماهير:

وهذه من مِيْزات نهج الإمام، أنّ النُّخب هم أوّل من ينزل إلى الميدان، وهذه الحركة الّتي يقومون بها، هي الّتي تجعل من التفاف الجماهير حولهم التفافًا صميميًّا ونهائيًّا، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله عن توجيه الإمام الخمينيّ للنُّخب: «على النُّخبة ومن يمتلكون زمام عقول الجماهير النُّزول إلى السّاحة، وعلى الجماهير أنْ تستعدَّ للإيثار والتّضحية، فعندئذٍ سيتحقّقُ كلّ شيء، وسيأتي النّجاح تلو الآخر»، ثمّ يُتابع الإمام الخامنئيّ دام ظله فيقول: «وكان هو [الإمام] أوّل من نَزل إلى الميدان... وبنزوله إلى السّاحة، تبِعَته النُّخبة، ولحق به العلماء والمثقّفون وطلبَة الحوزة والجّامعات وشتّى فئات الشّعب، فلم تمضِ عدّة سنين إلّا وكانت الجماهير كافّة قد انضمّت إلى هذه النّهضة العظيمة، وعندئذٍ تهاوت تلك القوّة السّياسيّة والعسكريّة والإعلاميّة، وفقدَت فاعليّتها أمام المدِّ الشّعبي الجَسور»[2].

11. امتلاك خصّيصة الفقه السّياسيّ:

لقد عانى الفقه الشّيعيّ وطوال التّاريخ أزمة الإبعاد عن السّلطة السياسيّة، لأسبابٍ كثيرة لسنا بمورِد مناقشتها وعرضِها الآن، وقد أدّى هذا الإبعاد إلى حدوث نقصٍ في كثير من الجزئيّات، بل وفي عدم وضوح الرّؤية الفقهيّة السياسيّة العامّة. ومن هنا، كانت خطّة الإمام الخمينيّ قدس سره القائمة على إعادة النّبض السّياسيّ لحياة الأُمّة لا تصِحُّ إلّا من خلال معالجة مواضع النّقص هذه، وذلك من خلال عمليّة استنباطيّة ذكيّة وحكيمة وعمليّة، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «كان الفقه الشّيعيّ، وبسبب طول ابتعاد هذه الطّائفة وفقهائِها عن سُدّة الحُكْم، فقهًا فرديًّا وخالياً من التّشريع السّياسيّ، وقد عَمِل الإمام القائد على تحويله إلى فقهٍ

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السنويّة الثامنة لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 1997/6/4م.
(2) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّنويّة الحادية عشرة لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2000/6/3م.

سياسيّ حكيم، يعلم ذوو الاختصاص أنّ ثمّة مواضيع، كقضيّة الحكومة والحِسبة وغيرها من القضايا المتعلّقة بالفعل الجماعيّ والسّلطة السياسيّة، قد خَلَت منها كتب الفقه الشّيعيّة منذ قرون، وبعضها لم تدخل مجال البحث منذ البدء، كمسألة الحكومة. أمّا بعضها الآخر، كمسألة الجهاد مثلًا وهي مسألة أساسيّة في الفقه الإسلاميّ، فقد نُحّيت منذ عدّة قرون من كتب الفقه الاستدلاليّ عند الشّيعة، ولم تتناولها بالدّراسة؛ والسّبب واضح، وليس لفقهاء الشّيعة أيّ تقصير أو قصور في هذا المجال، بل لأنّ أمثال هذه القضايا ما كانت تعرُض لهم.

لقد نَحا الإمام القائد، مُذ كان في المنفى، بالفقه الشّيعيّ مَنْحَىً اجتماعيًّا وسياسيًّا، ليجعل منه فقهًا قادرًا على إدارة نظام الحياة لدى الشّعوب، ويلبّي متطلّبات الشّعوب، صغيرها وكبيرها؛ أي إنّه عَمِل على الضّدّ، ممّا وصفناه بالتحجُّر.

حتّى في السّنوات الأخيرة من عمره الشّريف، كان يُعير أهمّيّة فائقة، حتّى للمسائل الّتي تبدو جزئيّة في الظّاهر؛ بسبب كونها شاخصًا في توجيه فقهاء الشّيعة نحو خطٍّ ووِجْهة معيّنة»[1].

12. محوريّة الإنسان في التّحوّلات الاجتماعيّة:

من المعالِمَ المهمّة في خريطة الإمام، تأكيد دور الإنسان في إبراز التحوُّل، إذ إنّ أيّ دعوى للتّحول من دون أن يكون فيها للعامل الإنسانيّ الدّور الأبرز، فإنّها ستكون دعوى قصيرة العمر. العامل الإنسانيّ، يعني الإيمان، والعمل الصّالح، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله عن هذا الأصل: «في هذا السّياق يبرز لنا أصلٌ مهم، وهو أصلٌ قد تكرّر في صدر الإسلام، كما تكرَّر في تجربة الثّورة الإسلاميّة، وأيضًا فيما عدا ذلك من وقائع التّاريخ المختلفة، وإنّ إدراك هذا الأصل يمثّل أهمّيّة فائقة بالنّسبة لشعبٍ كشعبنا، وإن كان يبدو غائبًا عن العَيان في معظم الأحوال. ولهذا، فقد كان دور إمامِنا العظيم، الإمام الخمينيّ الكبير، هو إثبات هذه الحقيقة، فما هي هذه الحقيقة؟ إنّها تتبَلْور في أنّ القوى المؤثّرة في التّطوّرات الاجتماعيّة والسّياسيّة لا تتعلّق إلّا بالإنسان وطاقاته وإرادته وإيمانه الإنسانيّ»[2].

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السنويّة الثامنة لرحيل الإمام الخمينيّ 1997/6/4م.

(2) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السنويّة الحادية عشرة لرحيل الإمام الخمينيّ 2000/6/3م.

13. نهج الإمام بين قوَّتَي الجَذْب والدّفْع:

إنّ الخصائص المعنويّة والذّاتيّة الّتي تمتّع بها الإمام الخمينيّ قدس سره، والّتي جعلت فئات واسعة من النّاس تنجذب إليه بشكلٍ عظيم جدًّا، وفي المقابل أوقعت فئات أخرى نفسها تحت منطقة الدّفع الخاصّة بالإمام، هي ليست حصرًا على الإمام نفسه، بل هي ستكون من نصيب أتباع هذا الإمام فيما لو ساروا طِبق خريطته لإصلاح الإنسان والعالم، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «المِعيار الآخر في برنامج الإمام ونهجه وطريقه المستقيم، هو ما يتعلّق بقضيّة جاذِبة الإمام ودافِعَته، فللعظماء ميدان واسع من الجاذبة والدّافعة. الكلّ لهم جاذبة ودافعة، فأنتم بتصرُّفكم تجذبون شخصًا إليكم وتُبعِدون شخصًا آخر،هذه هي الجاذبة والدّافعة. أمّا العظماء، فإنّ جاذِبتَهم تؤدّي إلى إيجاد شريحة واسعة. وكذلك دافعتهم فإنّها تُوجِد شريحة واسعة أيضًا. فإنّ جاذبة الإمام ودافعته أمرٌ مذهل ولافتٌ للنّظر»[1]. ولكن ما هو السّرّ في هذه الجاذبيّة والدافعيّة الموجودة عند الإمام الخمينيّ قدس سره؟ يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «إنَّ أساس المَبنى والمِعيار لجاذِبة الإمام ودافِعته هو الإسلام»[2].

14. الحسابات المعنويّة والإلهيّة:

وهذا المعيار من المعايير البنيويّة جدًّا في نهج الإمام الخمينيّ، وأحد أبرز السِّمات الّتي طَبعَت مسيرته، حيث تأثّرت بها الأجيال بشكلٍ نادر، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله في شرح هذه النقطة: «معيارٌ آخر في سلوك الإمام ونهجه، والّذي يُعدُّ مهمًّا جدًّا، هو قضيّة الحسابات المعنويّة والإلهيّة. فالإمام كان يضع الحسابات المعنويّة من الأولويّات في اتّخاذ القرارات والتّدابير، فماذا يعني هذا؟ هذا يعني أنّ على الإنسان عند قيامه بأيِّ عمل، أنّ عليه أن يجعل هدفه بالدّرجة الأولى هو كسْب رضا الله تعالى، لا الحصول على النّصر أو الوصول إلى السّلطة، أو تحصيل الوجاهة عند زيد وعمرو. فالهدف الأوّل هو رضا الله

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّنويّة الحادية عشرة لرحيل الإمام الخمينيّ 2000/6/3م.
(2) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّنويّة الحادية والعشرون لرحيل الإمام الخمينيّ 2010/6/3م.

تعالى، هذا أوّلًا، ثمّ بعد ذلك الثّقة واليقين بالوعد الإلهيّ؛ فعندما يكون هدف الإنسان رضا الله؛ فإنّه يثِقُ ويطمئنّ إلى وعد الله، وهناك لن يكون لليأس من معنى ولا للخوف والغفلة والغرور مجالٌ أن يتدخّل ويقوم بذلك»[1].

15. مَعالِم خريطة الإمام مَعالِم مُتكاملة:

يُشير الإمام الخامنئيّ دام ظله إلى أنّ هناك من قام بعد وفاة الإمام الخمينيّ قدس سره بمحاولة اجتزاء ما يناسبه من مدرسة الإمام الخمينيّ وخطّه، وادّعائه أنّ ذلك هو نهج الإمام، وقد ظهر فيما بعد أنّ ذلك كان انحرافًا حقيقيًّا شكّل خطرًا على الجمهوريّة الإسلاميّة وعلى تُراث الإمام ونهجِه، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «مدرسة الإمام رُزمةٌ ومجموعة كاملة لها أبعادها، وينبغي مشاهدةُ وملاحظةُ هذه الأبعاد بعضها مع بعض»[2].

16. المزاوجة بين المعنويّة والعقلانيّة:

وهي من الخصائص المهمّة لخريطة الإمام الخمينيّ قدس سره؛ إذ إنّ هذه المزاوجة بين هذين البُعْدين هي من جهة مورِد اهتمام وادّعاء الكثير من التّيارات الإسلاميّة، ومن جهة أخرى هي مورِد هجوم وتنفير للعديد من التيّارات المُعادية للإسلام، فما هما هذان البُعدان؟ يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «بُعْدُ المعنويّة معناه أنّ إمامنا الجليل لم يكن يسير في دربه اعتمادًا على العوامل والظّواهر الماديّة وحسب، إنّما كان من أهل الارتباط بالله وأهل السّلوك المعنويّ والتّوجّه إلى الله والخشوع والذّكر، وكان مؤمنًا بالعوْن الإلهيّ، وأملُهُ بالله تعالى كان أملًا لا مُتناهيًا. وفي بُعْد العقلانيّة كان الإمام يستخدم العقل والتّدبير والتّفكير والحسابات، ويأخذ هذه العناصر بعين الاعتبار، وسوف أذكر بعض النّقاط حول كلّ واحدةٍ من هذه الأمور»[3].

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّنويّة الحادية والعشرون لرحيل الإمام الخميني قدس سره 2010/6/3م.
(2) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّنويّة الثانية والعشرون لرحيل الإمام الخميني قدس سره 2011/6/4م.
(3) الذّكرى السّنويّة الثانية والعشرون لرحيل الإمام الخميني قدس سره 2011/6/4م.

17. العدالة والمعنويّة والعقلانيّة:

هذا البُعْد، وإن كان بالإمكان عَدُّهُ تجلّيًا من تجلّيات المزاوجة بين المعنويّة والعقلانيّة، إلّا أنّه، ولأهمّيّته الفائقة في إظهار ذيْنِك البُعدين، قد يمكن عَدُّه بُعْدًا مستقلًّا، فعقلانيّة الإمام كانت مُستقاة من الإسلام، ومعنويّته أيضًا كانت معنويّة إسلاميّة وقرآنيّة، وهناك بُعدٌ ثالث يقول عنه الإمام الخامنئيّ دام ظله: «هذا البُعد أيضًا مُستَلْهمٌ من أصل القرآن وأساس الدّين، ألا وهو بُعد العدالة. ينبغي النّظر لهذه الأبعاد معاً؛ فالتّشديد على أحد هذه الأبعاد وعدم الاهتمام بالأبعاد الأخرى حالةٌ تجُرّ المجتمع إلى الطّريق الخطأ والانحراف. هذه المجموعة وهذه الرُّزمة الكاملة هي التّراث الفكريّ والمعنويّ للإمام الخمينيّ. الإمام الجليل نفسه كان في سلوكه يَعمل بالعقلانيّة والمعنويّة، كما كان مُهتمًّا من أعماق وجودِه بالعدالة»[1].

(1) الذّكرى السّنويّة الثانية والعشرون لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2011/6/4م.

المفاهيم الرّئيسة:

1. مِنْ مبادئ نهج الإمام الاهتمام، بالعبادة والعمل الفرديّ والصّمود مقابل سُلطة شيطان النّفس والوساوس النّفسانيّة، وهذان الأمران هما من الأمور الّتي طالما أكّدها الإمام الخمينيّ قدس سره.
2. يُعدّ عنصر التّحرُّك الشّعبيّ من العناصر المهمّة في نهج الإمام الخمينيّ؛ فلا يوجد أمل لنجاح التّحرُّك والثّورة إذا لم ينطلق ذلك من الشّعب، ومن قناعة هذا الشّعب بضرورة التّغيير والتّحوُّل.
3. إنّ قضيّة الصّراع مع «إسرائيل» هي من الأصول الّتي يتقوَّم بها نهج الإمام الخمينيّ، وهي مسؤوليّة مُلقاة على عاتق الشّعوب الإسلاميّة.
4. إنّ محوريّة الولاية في نهج الإمام الخمينيّ تتضمّن بناء نموذج عالميّ على أُسُس الإسلام المحمّديّ الأصيل، والّذي من خلاله يمكن الدّعوة إلى هذا الخطّ التحرُّريّ المُحبِّ للإنسانيّة.
5. مِنَ الخِصال البارزة في حياة الإمام -رضوان الله عليه- هي خصوصيّة الإيمان، والعمل الصّالح، وتزكية النّفس وتهذيبها.
6. يتماهى نهج الإمام في انتهاجه نهجًا كنهج الأنبياء والأولياء المُرتبطين بمصدر الغيب، مع القرآن الكريم.
7. لقد عانى الفقه الشّيعي طوال التّاريخ من أزمة الإبعاد عن السّلطة السياسيّة، وكانت خطّة الإمام الخمينيّ قدس سره قائمةً على إعادة النّبض السّياسيّ لحياة الأمّة من خلال عمليّة الاستنباط لنظام حُكم سياسيّ مترابط.
8. من عناصر خريطة الإمام الخمينيّ قضيّة الحسابات المعنويّة والإلهيّة؛ فالإمام كان يضع الحسابات المعنويّة من الأولويّات في اتّخاذ القرارات والتّدابير.

الدّرس الخامس

أُصول البُعْد المعنويّ في خريطة الإمام الخمينيّ قدس سره

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يُعرّف ماهيَّة البُعْد المعنويّ في خريطة الإمام.
2. يحلِّل محوريّة أَصْل التّوحيد في البُعد المعنويّ.
3. يشرح مبدأ المُتعبِّد الثوريّ في خريطة الإمام.

مقدّمة

إنَّ النَّظريّات الفلسفيَّة الّتي اشتغلَ بها البشرُ منذ آلاف السَّنوات، تنقسمُ إلى ثلاثِ مجموعاتٍ: النَّظريّة المادّيَّة، النّظريّة الميتافيزقيّة، والنّظريّة الواقعيّة؛ أي الّتي تجمع ما بين البُعدين المادّيّ والغيبيّ للإنسان، وهي النّظريّة الّتي تدعو إليها رسالات السّماء.

ومن الواضح أنّ البُعْد المعنويّ يشكِّل أَحد أُسُس الدّعوة إلى الله تعالى، وتقوم عليه طائفة واسعةٌ من المناهج والرّؤى والنُّظم الّتي توضح الخطّة الإلهيّة المُتكاملة للحياة الإنسانيّة في سبيلها نحو الله تعالى؛ ولذلك تعرَّض هذا البُعد إلى حملاتٍ شرسة على مدار التّاريخ، كما تذْكُر ذلك قصص الأنبياء وسِيَر الأُمم، ولربّما كان العصر الحديث هو من أكثر العصور الّذي برزتْ فيه إرادة الاستكبار العالميّ في حَصْر البشريّة تحت إطار الفلسفة المادّيّة، ونَبْذ البُعْد المعنويّ من الحياة الإنسانيّة، وهذا أمرٌ نجِدُه في الكمّ الكبير من الدّراسات الفلسفيّة والاجتماعيّة والانسانيّة، وتجلِّيات ذلك على مستوى القرارين السّياسيّ والتّنفيذيّ في العالَم.

وفي هذا السّياق القاسي والمُظلم الّذي طحن كَيان العديد من الثّقافات الكُبرى الّتي كانت تُمارِس شيئًا من الحياة المعنويّة في الشّرق والغرب، وكذلك الانتكاسة الكبرى الّتي عاشها العالم الإسلاميّ بعد الحربَين العالميّتَين وسيادة الاستعمار على بلاد المسلمين الّذي استتبع تبعيّة سياسيّة وفكريّة وثقافيّة، جاء الإمام الخمينيّ قُدِّسَ سِرُّهُ بطرحٍ فكريّ متكاملٍ يقوم على أُسُس قويّة جدًّا، ومنها البُعْد المعنويّ الّذي يشكِّل في نهج الإمام الخمينيّ وخريطَته محرِّكاً ذا دويٍّ عظيم جدًّا، غايته إيقاد شُعلة الحياة في الأُمم المُستضعفة

وإمساك يدها في الرّحلة نحو الله تعالى.

فما هو هذا البُعْد المعنويّ؟ وكيف نظَر له الإمام الخامنئيّ دام ظله من خلال فَهمِه الدّقيق لنهج الإمام الخمينيّ قدس سره؟

أصل التّوحيد في البناء المعنويّ

يُعدّ الإمام الخمينيّ قدس سره أَحَد أهمّ رجالات الإصلاح الدّينيّ في القرون الأخيرة، حيث استطاع أن يُعيدَ النّبض على المستوى النّظريّ والعمليّ إلى أكثر الأصول الدّينيّة أصالةً وبنيويّة؛ أي «التّوحيد»، فبعد أن تمكّنت الحكومات - الّتي تتالت - من التسَلُّط على العالم الإسلاميّ من تنويم عقيدة التّوحيد وتسطيحها وتسخيرها لمصلحة الحُكّام، قام الإمام الخمينيّ قدس سره بإعادة النّبض إلى التّوحيد كأصلٍ فعّال في الحياة الإنسانيّة وفي جميع المستويات، فيما يتعلّق بالبناء المعنويّ فمع اعتماده على مصادر متنوّعة، وأهمُّها القرآن، فإنّنا نلاحظ بأنّه ينبض بعقيدة التّوحيد، وقد قام الإمام قدس سره بتطبيق هذا العرفان التّوحيدي في الكثير من المواقف والحوادث، فضلًا عمّا كتبه وتكلّم به. ينظّر الإمام الخامنئيّ دام ظله لمبدأ التّوحيد عند الإمام قدس سره، فيقول: «إنّ منظومة الإمام الفكريّة تمتلك الخصائص الكاملة لمدرسة فكريّة واجتماعيّة وسياسيّة، فإنّها أوّلًا تستند وتقوم على رؤية كونيّة، وهي عبارة عن التّوحيد، حيث كانت جميع تحرّكاته منطقه كلّه مبنيًّا على التّوحيد الّذي يشكّل البُنية التّحتيّة الأساس لجميع الأفكار الإسلاميّة»[1].

فالرّؤية التّكوينيّة عند الإمام هي رؤية توحيديّة بذلك المذاق العرفانيّ الشُّهوديّ الّذي عُرف به قدس سره، ينقل الإمام الخامنئيّ دام ظله عن الإمام أنّه: «كان يأمر الآخرين، ويقول: إنّنا في محضر الله، العالَم محضَرُ الله، العالَم محلّ حضور التّجلّيات الإلهيّة، وكان يوجّه الجميع في هذا الاتّجاه»[2]. فالتّوحيد هو أساسٌ هامّ للبناء العرفانيّ للإمام الخمينيّ قدس سره.

وعندما يكون العالم كلّه محضر الله تعالى، فإنّ ذلك يعني في منظومة الإمام أنّ

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّادسة والعشرون لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2015/06/04 م.

(2) الذّكرى السّنويّة الثانية والعشرون لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2011/6/4م.

الارتباط والاعتماد لا يكونان على الأسباب المادّية والظّاهريّة رأسًا، بل الاعتماد على الله تعالى رأس كلّ سببٍ، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله في توضيح هذا البُعْد المعنويّ عند الإمام: «أمّا البُعْد المعنويّ، فيعني أنّ إمامنا الجليل لم يكن يسير في طريقه باعتماده الصّرف على العوامل والظّواهر المادّيّة، فقد كان من أهل الارتباط بالله والسّلوك المعنويّ ومن أهل التوجّه والتذكُّر والخشوع والذّكر، وكان يؤمن بالمَدَد الإلهيّ، وكان رجاؤه وأمله بالله تعالى لا حدّ لهما»[1].

وهذه الرّؤية الكونيّة العرفانيّة التّوحيديّة هي رؤية جذّابة من جهة، وفعّالة من جهة أخرى، وليست كباقي الدّعوات الّتي ارتدت لَبوس العرفان، ومن ثمّ أخذت المجتمع أو فئات منه نحو العُزلة والتّقوقع وترك المجتمع للفاسدين، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «السّمة الأخرى الّتي تتّسم بها هذه المنظومة الفكريّة والّتي تجعل منها مدرسة بكلّ ما للكلمة من معنى، هي أنّ منظومة الإمام الفكريّة كانت تواكب العَصر، وتطرح القضايا الّتي تُعانيها المجتمعات البشريّة والمجتمع الإيرانيّ، وتَشعر بها الجماهير. وهذه المدرسة الفكريّة حيويّة ونشيطة وعمليّة، فلم تكن كتقديم بعض الأفكار وطرح النظريّات التّنويريّة ذات الكلمات الجميلة الجذّابة في مقام البحث، وفاقدة للفاعليّة في ميدان العمل! فقد كان منطق الإمام وفكرُهُ ونهجُه منطِقًا وفكرًا ونهجًا عمليًّا يُمكن تطبيقه في ساحة العمل؛ ولهذا السّبب نَجح وانتصر وتقدّم إلى الأمام»[2].

المعنويّات، العقل والعدالة مبادئ البُعد المعنويّ

يميّز الإمام الخامنئيّ دام ظله بين بُعْدين في نهج الإمام الخمينيّ قدس سره، وهما: بُعْد العقلانيّة؛ أي اعتماد طرح الإسلام المحمّديّ الأصيل على العقل كوسيلة أساسيّة لإثبات الأصول الاعتقاديّة للإسلام وإدراكها، وكذلك لتعقُّل الوجود والإنسان وعلاقة الإنسان بالله والوجود والإنسان الآخر، مقابل التيّارات الّتي تدعو إلى الاستغناء عن العقل، كالحركات

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى الثّانية والعشرون لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره. 2011/6/4م.
(2) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، كلمة الإمام الخامنئيّ دام ظله في الذّكرى السّادسة والعشرين لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2015/06/04م.

النصّيّة أو التيّارات اللّاأدريّة وغيرها. والبُعْد الثّاني: هو البُعْد المعنويّ؛ أي الاعتماد على الوجود الإلهيّ والتّجليات الإلهيّة كافّة الّتي يمكن تصنيفها -بحسب الظّاهر طبعًا- كتجلّيات غير مادّيّة وغير ظاهريّة. طبعًا، هذا التّقسيم هو من أجل إظهار هذا الأساس مقابل الفلسفات المادّيّة الّتي تنكر وجود أيّ بُعْد مادّيّ في حياة البشريّة، وأيّ أَثَر أو ضرورة للارتباط بهذا البُعْد.

يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «مدرسة الإمام رُزمة ومجموعة كاملة لها أبعادها، وينبغي مشاهدة هذه الأبعاد وملاحظتها بعضها مع بعض. البُعْدان الأصليّان في مدرسة إمامنا الجليل، هما بُعْد المعنويّة والعقلانيّة. بُعْد المعنويّة، معناه أنّ إمامنا الجليل لم يكن يسير في دربه اعتمادًا على العوامل والظّواهر المادّيّة وحسب، إنّما كان من أهل الارتباط بالله وأهل السّلوك المعنويّ والتّوجُّه إلى الله والخشوع والذّكر، وكان مؤمنًا بالعَوْن الإلهيّ، وأملُهُ بالله تعالى كان أملًا لامتناهيًا»[1].

إذاً، هذا البُعْد المعنويّ هو بعدٌ أساسيّ في نهج الإمام، ولكنّه ليس بُعدًا مستقلًّا، بل هو يعتمد على بُعْدٍ ثانٍ، بُعْد العقلانيّة، إضافة إلى وجود بُعْد ثالث تتمَظْهر فيه نتائج العقلانيّة والمعنويّة، أي بُعْد العدالة الاجتماعيّة. ولربّما يتساءل أحدُهم عن إقحام الإمام الخامنئيّ دام ظله لهذا البُعْد الثّالث. يمكن باختصار الإجابة عن هذا السّؤال، بأنّ الإمام الخامنئيّ دام ظله يريد أن يوضِح مبنىً جوهريًّا في فَهْم الإمام الخمينيّ للإسلام، وهو أنّ الاسلام لا يمكن له أن يكون إسلامًا محمّديًّا أصيلًا إلّا إذا كان لكلّ أُسُسِه النّظريّة (العقلانيّة والمعنويّة) أثَرٌ في إيجاد حياة إنسانيّة واجتماعيّة عادلة للبشر. وهذا الأمر، هو فارق جوهريّ بين نهج الإمام الخمينيّ قدس سره والعديد من التّيارات الإسلاميّة الانعزاليّة الّتي تركت هَمّ العدالة الاجتماعيّة إلى أيّة جهة تتصدّى للعمل الاجتماعيّ والسّياسيّ مهما كان منهَجُها، وكذلك بين التّيارات التّوليفيّة الّتي تجمع بين الدّين والسّلطة اللّادينيّة، فضلًا عن المدرسة العلمانيّة الّتي تُسيِّر العالم الاستكباريّ في الشّرق والغرب. فالإسلام الأصيل هو

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّنويّة الثانية والعشرون لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2011/6/4م.

إسلام منتجٌ للعدالة الاجتماعيّة بناءً لأَساسَيْن، العقلانيّة والمعنويّة.

يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «وثمَّةَ بُعْد ثالث مُستمَدّ من الإسلام أيضًا، شأنُه شأن المعنويّة والعقلانيّة. عقلانيّة الإمام كانت مُستقاة من الإسلام، ومعنويّتُه أيضًا كانت معنويّة إسلاميّة وقرآنيّة، وهذا البُعْد أيضًا مُستلهَمٌ من أَصْل القرآن وأَساس الدّين، ألا وهو بُعْد العدالة. ينبغي النّظر لهذه الأبعاد مع بعضها؛ فالتّشديد على أحد هذه الأبعاد وعدم الاهتمام بالأبعاد الأخرى حالة تجرّ المجتمع إلى الطّريق الخطأ والانحراف. هذه المجموعة وهذه الرُّزمة الكاملة هي التّراث الفكريّ والمعنويّ للإمام الخمينيّ. الإمام الجليل نفسه كان في سلوكه يعمل بالعقلانيّة والمعنويّة، كما كان مهتمًّا من أعماق وجوده بالعدالة»[1].

إذاً، هذه التّركيبة الثّلاثيّة لها هدف، والبُعْد المعنويّ هو بُعْد رئيسيّ فيها، بل -كما سيظهر لنا- هو البُعْد الأهمّ، فما هو هذا الهدف؟ يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله في سياق شرحه للبُعْد المعنويّ عند الإمام الخمينيّ قدس سره: «إنَّ الدّين ليس هو أحكام الطّهارة والنّجاسة وحسب، وليس هو الأعمال الدّينيّة الظّاهريّة وحسب، بل إنَّ الدين هو برنامج لسعادة النّاس في الدّنيا والآخرة، وكما أنَّ هذا البرنامج هو وسيلة لضمان النّموّ والتّسامي المعنويّ للمجتمعات الإنسانيّة، هو وسيلة لضمان إحياء قابليّاتهم الفكريّة، وتنمية شخصيّاتهم واستعداداتهم كذلك. وكما أنَّ الدين يهتمّ بالمعنويّات، فإنَّه يهتمّ بالحياة الدّنيويّة للإنسان أيضًا، ويمتلك برنامجًا لسعادته»[2].

ويؤكّد كذلك أهمّيّة العمل بهذه الأبعاد الثّلاثة؛ لأنّ عدم الجمع بينها سيؤدّي إلى عواقب خطيرة جدًّا.

(1) الذّكرى السّنويّة الثّانية والعشرون لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2011/6/4م.

(2) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّنويّة السّابعة عشرة لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2006/6/4م.

تجلّيات البُعْد المعنويّ في ثلاثة أُطرٍ

1. الإيمان بالله:

«بالنّسبة إلى إيمانه بالله، كان الإمام مِصداق الآية الشّريفة: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾[1]، ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾، لقد أدّى الإمام هذا الأمر بكلّ وجوده، وآمن به من كلّ قلبه، كان الإمام يَثِق بالله المُتعال، ويُوقن بوعد الله، فكان يتحرّك ويعمل ويتكلّم ويُقَدِّمُ في سبيل الله، ويعلم أنّه ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾[2]. وعد الله لا بُدّ مفعول، وأنّ الله لا يُخلف الميعاد».

2. إيمانه بالنّاس:

«بالنّسبة إلى إيمانه بالنّاس، فقد كان الإمام العظيم يعرف الشّعب الإيرانيّ بكلّ ما للكلمة من معنى، بأنّه شعبٌ عميق الإيمان، ذكيّ وشجاع، وإذا ظَهَرَ بينهم قادةٌ لائقون، فإنّ هذا الشّعب سيتوهّج كالشّمس في مختلف المجالات، لقد آمَن الإمام بهذا. لقد جعل الإمام الخمينيّ إيمان هذا الشّعب العميق والرّاسخ الّذي كان مخفيًّا تحت طبقات طَمِي المُتهافتين على الدّنيا؛ يَتَفتّح. وأثار حفيظة النّاس الدّينيّة، فأصبح الشّعب الإيرانيّ مِثالاً للاستقامة والبصيرة. كان الشّعب في نَظَر الإمام هو الأعزّ، وعدوّ الشّعب هو الأبغض»[3].

3. الثّقة بالنّفس:

«لقد علّم الإمام الشّعب الإيرانيّ معنى «نحن قادرون». وقبل أن يُلقّن الإمام الشّعب الإيرانيّ ويعلّمهم «نحن قادرون»، كان قد أحياها في داخله، وقد أظهر وأبرز اعتقاده بقدراته الشخصيّة بالمعنى الحقيقيّ للكلمة. في عاشوراء 1963م، هدَّد الإمام - وعلى الرّغم من غربته، وسط طلّاب قمّ وأهاليها في المدرسة الفيضيّة - «محمّد رضا شاه»،

(1) سورة آل عمران، الآية 173.
(2) سورة محمّد، الآية 7.
(3) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، مراسم الذّكرى الـ «24» لرحيل الإمام الخميني قدس سره 2013/06/04 م.

الّذي كان، واعتماداً على أمريكا والقوى الخارجيّة، يحكم البلاد بلا قَيْد أو شرط أو وازع، قائلًا: إذا فعلتَ كذا، وإنْ أكملتَ على هذا المنوال، فسأطلب من الشّعب الإيرانيّ أن يطرُدَك من إيران». من الّذي قال هذا؟ قاله رجل دين يعيش في «قمّ»، لا يملك السّلاح، ولا العتاد، ولا المال، ولا الدّعم الدوليّ، مُستندًا إلى إيمانه بالله وثقته بنفسه وحسب، بأنّه قادر على الصّمود في هذه السّاحة. وفي ذلك اليوم الّذي عاد فيه الإمام من منفاه، هدّد حكومة «بختيار» في خطابه في «جنّة الزهراء عليها السلام»، وقال بالصّوت الملآن: «سأصفع وجه حكومة «بختيار»، و«سأعيِّن الحكومة»، هذه هي الثِّقة بالذّات»[1].

آثار أُسُس الإيمان الثّلاثة

هذه الأطر الثّلاثة الّتي آمن بها الإمام؛ أي الإيمان بالله، الإيمان بالشّعب، والإيمان بالذّات، قد أضحت مِحور جميع قراراته وأعماله وجميع سياساته. ولقد أعطى هذا الإيمان القُدرة للإمام خلال بدء النّهضة، وفي فترة النّفي وعندما توجّه إلى «باريس» أيضاً، وعندما عاد إلى إيران، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «لقد أعطت هذه الأطر الثّلاث للإمام القدرة على العودة إلى «طهران» في تلك الظّروف، وأعطته القوّة في أحداث شباط 1979م في الفتن الداخليّة، في إعلان الجمهوريّة الإسلاميّة، في الصّمود العلنيّ في وجه النّظام العالميّ الجائر، في إعلان «لا شرقيّة ولا غربيّة»، في الحرب المفروضة، في جميع قضايا السّنوات العشر المليئة بالأحداث من عُمر الإمام. لقد تجلّت تلك العقائد الثّلاثة في الإمام؛ فكانت مصدر قراراته، أعماله، وسياساته»[2].

وبالتّالي، فإنّ الخطّة والخريطة الّتي أسّسها الإمام الخمينيّ قدس سره، والّتي تجعل من المعنويّة شعارًا لها، تتّخذ من هذه الأُسس الثّلاثة مظهرًا للمعنويّة والارتباط بالله تعالى، ولا يمكن التّفكيك بين عناصرها الثّلاثة وبين روح المعنويّة الحاكمة عليها. هذه العناصر هي الّتي دفعت الإمام الخامنئيّ دام ظله إلى وصف الإمام الخمينيّ بـ«القائد السّماويّ والمعنويّ»

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، مراسم الذّكرى الـ «24» لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2013/06/04 م.
(2) مراسم الذّكرى الـ «24» لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2013/06/04 م.

فيقول: «بقي الإمام، وبدعم من هذا الشّعب، وحيدًا في السّاحة. لكنّه ظهر للنّاس كافّةً وللتّاريخ، وبكلّ ما للكلمة م، قائداً سماويّاً ومعنويّاً قاطعاً ومصمّماً. تجلّت ثلاث عقائد في إمامنا العظيم، مدّته بالقاطعيّة بالشّجاعة والصّم؛ إيمانه بالله، إيمانه بالنّاس وإيمانه بذاته»[1].

وهذه الأُسس والأطـر، كان الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ مظهرًا حقيقيًّا وفعّالًا لها، يقول الإمام الخامنئيّ دَامَ ظِلُّهُ: «وقد ظهرت الأطر الثّلاثة تلك بمعناها الحقيقيّ في وجود الإمام، في قرارات الإمام، وفي جميع حركات الإمام. كان الإمام يتحدّث إلى النّاس من القلب إلى القلب، وكان النّاس بدورهم، وبكلّ وجودهم، يقولون له: «لبّيك»، فنزلوا إلى وسط السّاحة، وصمدوا بكلّ شهامة، وكانت الحركة الّتي لم يُنظر إليها بعين الرّأفة من أيّ بقعة من بقاع الدّنيا، ولم تُمَدّ لها أيّ يدٍ للمساعدة، تسير بالتدرّج نحو الانتصار، ولقد انتصرت في النّهاية»[2].

المُتعبِّد الثوريّ في الأبعاد كلّها

طرح الإمام الخامنئيّ دَامَ ظِلُّهُ، عنوانًا جديدًا يجمع تحته هذه المبادئ والأُسس الّتي جرى تقديمها في هذا الدّرس، وهو عنوان «المُتعبِّد الثوريّ». صحيحٌ أنّ المِصداق الأبرز في نظر الإمام الخامنئيّ دَامَ ظِلُّهُ للمُتعبِّد الثوريّ في هذا العصر هو الإمام الخمينيّ قُدِّسَ سِرُّهُ، إلّا أنَّ الصّفات الّتي يجمعها هذا العنوان تصلُحْ لأنْ تكون قدوة نموذجيّة خاصّة للشّباب السّائرين على نهج الإمام الخمينيّ قُدِّسَ سِرُّهُ وخطّه، فما هو هذا العنوان؟

يقول الإمام الخامنئيّ دَامَ ظِلُّهُ: «إنّ من العناوين والصفات الّتي قلّما تُذكر للإمام العظيم الرّاحل، وقلّما نصفهُ بها، أنا أعبّر عنها بعنوان جامع، وهو أنّه «مؤمنٌ متعبِّد ثوريّ». فإنّنا دومًا نصِفُ الإمام بصفات عديدة، إلّا أنّ هذه الصفة الّتي قلّما وصفناه بها، تُعدّ صفة جامعة شاملة، فهو مؤمنٌ. وهو متعبّدٌ، وهو ثوريّ»[3]. هذا العنوان يتألّف من قيود عدّة:

(1) خطاب الإمام الخامنئي دَامَ ظِلُّهُ، مراسم الذّكرى الـ «24» لرحيل الإمام الخمينيّ قُدِّسَ سِرُّهُ 2013/06/04 م.
(2) مراسم الذّكرى الـ «24» لرحيل الإمام الخمينيّ قُدِّسَ سِرُّهُ 2013/06/04 م.
(3) مراسم الذّكرى الـ «27» لرحيل الإمام الخمينيّ قُدِّسَ سِرُّهُ 2016/06/03 م.

أوّلًا: «مؤمنٌ» يعني أنّه «مؤمنٌ بالله، ومؤمنٌ بالهدف، ومؤمنٌ بالطّريق المؤدّي إلى هذا الهدف، ومؤمن بالنّاس، وقد ورد هذا التّعبير في القرآن بشأن الرّسول الأكرم أيضًا: ﴿ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[1]، الإيمان بالله وبالهدف وبالطّريق وبالنّاس».

ثانياً: «عبدٌ، متعبّدٌ» يعني أنّه «يَعتبر نفسه عبداً أمام الله، وهذه صفة فائقة الأهمّيّة. ولكم أن تلاحظوا أنّ الله تعالى قد وصف نبيَّهُ في القرآن بصفات عدّة: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2]، ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ ﴾[3]، إلى غير ذلك من الصّفات الّتي تكشف كلّ واحدة منها عن فصلٍ كبيرٍ من خصائص الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم. لكنّ تلك الصّفة الّتي أُمِرنا، نحن المسلمين، بأن نُكرّرها بشأن النّبيّ في صلواتنا كلّ يوم، هي: «أَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسولُه»، وهذه تدلُّ على أهمّيّة العبوديّة. إنّ لهذه الصّفة من العظمة والشّأن الرّفيع ما أدّى إلى أن يأمر الله تعالى المسلمين بتكرارها كلّ يومٍ في صلواتهم عدّة مرّات. كان الإمام يتحلّى بهذه الصّفة، وهي صفة العبوديّة، كان من أهل الخشوع والتضرّع والدّعاء، وكان مؤمنًا متعبّدًا».

ثالثاً: «ثوريّ» وهي صفة نابعة من كونِه «إمامَ الثورة»[4].

إنّ الإنسان المتعبّد الثوريّ لا يحصر نفسه في مكان عباديّ محدّد، بل عبادته تشمل أماكن العبادة المخصوصة وتعمُّ غيرها، بل إنّ كلّ حركةٍ له في المجتمع هي حركة ثوريّة تعبُّديّة، وهذه هي خصوصيّة الإمام الخمينيّ قدس سره كما يؤكّد ذلك الإمام الخامنئيّ دام ظله: «إنّ جهاد هذا الرّجل العظيم لا يقتصر على الجِّهاد السياسيّ والاجتماعيّ أو الجهاد الفكريّ، وإنّما رافق كلَّ حالات الجهاد هذه جهادُ الباطن وجهادُ النّفس، والالتزام بالارتباط الدّائم والمستمرّ بالله سبحانه وتعالى، وهذا درسٌ لنا إذا ما خضنا ساحة الجهاد الفكريّ أو الجهاد العلميّ أو الجهاد السياسيّ، فهذا لا يعني أنّه يحقّ لنا الإعراض عن هذا القسم

(1) سورة التوبة، الآية 61.
(2) سورة القلم، الآية 4.
(3) سورة آل عمران، الآية 159.
(4) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، مراسم الذّكرى الـ «27» لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2016/06/03 م.

من الجهاد»[1]. وكان هذا النَّفَسُ الثوريّ والجهاديّ عند الإمام مشفوعًا ومُحاطًا دومًا بتلك الرّوح المعنويّة الهائلة لديه، والّتي كان يُذكيها بالعبادة الشّاقة والدّؤوبة، ما ظهر منها لغيره وما لم يَظهر.

يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله حول هذه العلاقة بين المعنويّة والثوريّة: «لقد كان إمامنا العظيم من أهل الخشوع والبكاء والدّعاء والتّوسّل والتّضرّع. ولطالما كرّر في شهر شعبان المبارك هذه الفقرة من المناجاة الشّعبانية خلال كلماته، قائلًا: «**إلهي، هَب لي كَمالَ الاِنقِطاعِ إلَيكَ، وَأَنِر أَبصارَ قُلوبِنا بِضِياءِ نَظَرِها إلَيكَ، حَتّى تَخرِقَ أَبصارُ القُلوبِ حُجُبَ النّورِ فَتَصِلَ إلى مَعدِنِ العَظَمَة**»[2]. هكذا كان سلوك الإمام. فإنّ بكاءه في الأسحار، ومناجاته، ودعاءه، واتّصاله الدائم، كلّها كانت تُشكّل الدعم المعنويّ لمتابعة جهاد هذا الرّجل العظيم واستمراره، وهذا ما علينا تذكُّره، على هامشِ ما كان إمامنا الجليل يُمارسه، من جهادٍ في سبيل الله»[3].

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، لذّكرى السّادسة والعشرون لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2015/06/04 م.
(2) ابن طاووس، علّي بن موسى، الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرّة في السّنة، تحقيق وتصحيح جواد قيومي الأصفهاني، نشر مكتب الإعلام الإسلاميّ، قمّ، 1418هـ، ط1، ج 3، ص 299.
(3) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّادسة والعشرون لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2015/06/04 م.

المفاهيم الرّئيسة:

1. في نهج الإمام الخمينيّ قدس سره هناك تجلٍّ لبُعْدين؛ البُعْد الأوّل هو بُعْد العقلانيّة؛ أي اعتماد طرح الإسلام المحمّديّ الأصيل على العقل. أمّا البُعد الثّاني فهو البُعْد المعنويّ؛ أي الاعتماد على الوجود الإلهيّ والتّجليات الإلهيّة كافّة. عقلانيّة الإمام، كانت مُستقاة من الإسلام، ومعنويّته أيضًا كانت معنويّة إسلاميّة وقرآنيّة.
2. يُضاف إلى بُعْدي العقلانيّة والمعنويّة بعدٌ آخر مستمدّ في الإسلام أيضاً، هو بُعْد العدالة.
3. الدّين هو برنامج لسعادة النّاس في الدّنيا والآخرة، وهو وسيلة لضمان النّمو والتّسامي المعنويّ للمجتمعات الإنسانيّة، ووسيلة لضمان إحياء قابليّاتهم الفكريّة، وتنمية شخصيّاتهم واستعداداتهم كذلك، والدّين يهتمُّ بالمعنويّات، وكذلك بالحياة الدّنيوية.
4. القرآن الكريم هو منطلق الإمام الخمينيّ، في تّأكيد البُعْد المعنويّ.
5. الرّؤية التّكوينيّة عند الإمام هي رؤية توحيديّة بذلك المذاق العرفانيّ الشُّهوديّ الّذي عُرف به قدس سره.
6. يتجلّى البُعْد المعنويّ في ثلاثةِ أُطرٍ: الإيمان بالله، الإيمان بالنّاس، الثّقة بالنّفس.
7. يُطلق الإمام الخامنئيّ دام ظله صفة «المُتعبِّد الثوريّ» على الإمام الخمينيّ قدس سره، وهي صفة تعني أنّه مؤمنٌ بالله، وأنّه عبدٌ أمام الله، وأنّه «ثوريّ» وهي صفة نابعة من كونِه «إمامَ الثّورة».

الدّرس السّادس

معالم معنويّة في نهج الإمام الخمينيّ قدس سره (1)

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يُقدِّر أهمّيّة اليقظة المعنويّة الّتي أحدَثها الإمام الخمينيّ.
2. يَشرح نواحي تجلّي البُعْد الغيبيّ في حياة الأُمّة.
3. يُبيِّن كيفيّة حضور التوكُّل في العمل الثوريّ.

الإمام أَيقظ الاستعدادات المعنويّة

كانت الأُمّة الإسلاميّة، طوال قرون، ترزح تحت سلطة حكومات قاسية وظالمة وجاهلة، وجرَتْ بسببها على الأُمّةِ ويلاتٌ لا تُعدُّ ولا تُحصى. وكان أعظم البلاء الّذي عاناه المسلمون طويلًا، هو قتْل هذه السُّلطات، ومعها الاستعمار الغربيّ، لجزء كبير من الرّوح المعنويّة والارتباط الفعّال بالله تعالى بين المسلمين وفي بلاد المسلمين. فالفكرة الّتي جرى ترويجها هي عدم القدرة على الاستمرار في هذا الوجود من دون مبارَكة الحاكم ورضا الاستعمار على الأُمّة.

ولكنّ مجيء الإمام الخمينيّ قُدِّسَ سِرُّهُ، كان بمثابة طلوع لشمس المعنويّات في سماء الأُمّة، شعّت بُرهة من الزّمن، فسرى دِفؤها في أطراف ذاك الجسد شبه الميّت، وانتعش شيءٌ من روح الحياة فيها من جديد.

لقد سعى الإمام الخمينيّ لترسيخ فكرٍ حيّ، قائم على دعامة الارتباط بالله تعالى؛ لكون هذا الارتباط سببًا لحركة الأُمّة الإسلاميّة من جديد، وحركة فعّالة بين الأُمم باتّجاه النّصر والعزّة.

يوصّف الإمام الخامنئيّ دَامَ ظِلُّهُ هذه الحالة، فيقول: «غيّرت الثّورة الإسلاميّة الكبيرة الاتّجاه كليًّا، وقلبَتْ الصّفحة. إنّ همةّ الإمام، الّذي كان قائد هذه الثّورة والمُمسك بزمامها، وزعيمها، هي الّتي أَحْيت روح العزّة الوطنيّة في هذا الشعب، وأعادت له عزّتَهُ. إنّ الإمام الجليل لقّن النّاس ثقافة «نحن نستطيع»، وثبّتها في قلوبهم. وهذه هي أيضًا

الثّقافة القرآنية الّتي تقول: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[1]، إنَّ الإيمان يعني العلوّ. إنّ الإيمان وسيلة للعلوّ المادّي، ولكنّه لا ينحصر بهذا. فالإيمان منشأ العلوّ، والعزّة، ورُشْد الشّعوب. تقدَّم الإمام نفسه إلى الأمام وقاد، فاستثار الدّوافع في النّاس، وتفتّحت الهِمَم والاستعدادات، وهنا صار عمل النّاس وحضورهم في السّاحات سببًا لاستجلاب الرّحمة الإلهيّة، هذه نقطة عظيمة جدًّا، إنّ رحمة الله واسعة، ولكن ما لم يُهيّئ الإنسان وعاءَه فإنّ أمطار الرّحمة لن تنزل»[2].

وفيما يلي، سنستعرض عددًا من مظاهر ثقافة «نحن نستطيع»، الّتي أسَّس لها الإمام الخمينيّ قدس سره، عبر شخصيّته الفَذَّة وسَيْره الثوريّ الطّويل.

أهمّيّة أداء التّكليف

أوّل ما يُظهره لنا الإمام في حياته هو أهمّيّة أداء التّكليف وأولويّته. إنّ أداء التّكليف ثقافة خمينيّة، واصطلاحٌ يعني عند أتباع هذا الخطّ القيام بكلّ ما هو مطلوب من أجل تحقيق رضا الله تعالى، من دون أنْ يُنسب الفضل في ذلك إلى النّفس، مهما كان الإنجاز أو الموقف أو النّصر عظيمًا واستثنائيًّا، إنّه مجرّد تكليف.

يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «لقد امتاز الإمام الخمينيّ بهذا السّلوك، والقِصص المرويّة عنه في التعبُّد بأداء التّكليف لا تُعدّ، وهي مهمّة جدًّا. هذه قضيّة مهمّة، وهي: إنّ الإمام الخمينيّ لم يـكن راغبًا في حيازة قصب السّبق، حتّى في ميدان الجهاد، حيث نقل لنا بنفسه، أنّه كان يتحدّث ذات مرّة في دار المرحوم آية الله الحائريّ مع أحد المراجع المعروفين، الذي كان زميلًا له في الدّراسة، فقال له: كُنْ في المقدّمة ونحن نسير وراءك. وكانت غاية الإمام أن يُتِمّ أداء التّكليف، إذ كان المهمّ بالنّسبة إليه هو أداء الفريضة الّتي كان يشعر بأنّها مُلقاة على عاتقه، ولم تكن قضيّة التّصدّي والتّقدُّم ذات أهمّيّة بالنّسبة له»[3].

(1) سورة آل عمران، الآية 139.
(2) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى 23 لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2012/6/3م.
(3) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّنويّة العاشرة لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 1999/6/4م.

هذا الاعتقاد الرّاسخ لديه بالتّكليف، مكّنه أن يتقدّم في وجه النّظام الشّاهنشاهي الدّيكتاتوريّ والمجرم، في الوقت الّذي خاف فيه الجميع من القيام بأيّ خطوة، لقد كان أمرًا شبه مستحيل. لكنّ الإمام أقدَمَ على فعل ذلك لأنّه «أداءٌ للتّكليف»! هذه حقيقة ينقلها الإمام الخامنئيّ دام ظله كذلك: «الطّبيعي أنّ الآخرين لم يكن لديهم من الجرأة والإقدام على الدّخول في هذا المُعترك مثلما كان لدى الإمام، وقد أخذ هو بزمام الأمور في هذا الميدان بشكلٍ تلقائيّ، وبدأ بمجابهة النّظام اعتمادًا على الجماهير»[1].

من المعلوم أنّ حياة الإمام الخمينيّ كانت حافلة بالتّحدّيات والصّعاب داخل إيران، وفي المنافي الّتي نُفي إليها وغير ذلك، لكنّ اعتقاده الرّاسخ بوجوب أداء التّكليف كان يفوق كلّ الموانع! يذكر الإمام الخامنئيّ دام ظله قضيّة دخول السّجن وشِدَّتِه على الشّباب،ثمّ يقارن ذلك بثبات الإمام وسَيْره في أداء تكليفه بالقيام، يقول دام ظله: «لم يكن دخول السّجن وما يرافقه من مصاعب مشكلة عصيبة بالنّسبة إلينا، نحن الّذين كنّا حينها في مرحلة شبابنا؛ إذ كان السّجن لنا أشبه ما يكون بالتّسلية، أمّا بالنّسبة للإمام فقد كان حينها في الثّالثة والسّتين من عمره تقريباً، ولكن مع ذلك كان قادرًا على استنهاض الأُمّة بمشاعره الجيّاشة، إلاّ أنّ دخول السّجن أو النّفي بالنّسبة لشخص في مثل هذه السّن لم يكن بالأمر الهيّن.

ومع كلّ ذلك، تجلّت فيه معالم الإيثار والفداء وتحدّي المخاطر، وكان هذا أيضًا بُعدًا آخر من أبعاد شخصيّته؛ بمعنى أنّه لم يكن هنالك مانع، يستطيع الحيلولة بينه وبين مُثُله العليا، أو سعْيِه لأداء تكليفه الشّرعي»[2].

المَدَدُ الغيبيّ

إنّ أداء التّكليف -كما مرّ- هو أساس مهمّ في نهج الإمام الخمينيّ قدس سره. لكنّ أحد أسرار هذا الثّبات على أداء التّكليف، هو الاعتقاد بأنّ الله سبحانه وتعالى هو الحاضر خلف إنجاح التّكليف وإيصال الأمور إلى مقاصدها؛ لأنَّ جميع ما في السّماوات والأرض

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّنويّة العاشرة لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 1999/6/4م.
(2) المصدر نفسه.

قائمٌ بالله، وإحاطَتُه لكلّ شيء تَكفل إنجاح العمل. كان الإمام الخمينيّ قدس سره من أشدّ المُعتقدين بالمَدَدْ الغيبي والمعنويّ في هذه المسيرة المباركة، ويعتبر ذلك عين التعقُّل والفهم الصّحيح للدّين الإسلاميّ المحمّديّ الأصيل. يشرح الإمام الخامنئيّ دام ظله هذه الفكرة بأسلوبه الجذّاب، فيقول: «كلّما فكّر الإنسان في هذه الأمور وجدَ يَدَ الله تعالى، ويدَ قدرته، وروح الولاية، وروح الحسين بن عليّ عليه السلام فيها. هذه الأعمال ليست أعمالاً تحصل وتُنجز بإرادة أمثالنا، إنّما هي من عمل الله وتجري عن يَدِ القدرة الإلهيّة، مثلما قال لي الإمام الخمينيّ في ظرفٍ حسّاس، وقد روَيتُ قوله هذا مرارًا، قال: «إنّني طوال هذه الفترة كنت أرى يَدَ القُدرة الإلهيّة وراء هذه الأمور»... وحقٌّ ما رأى ذلك الرّجل الإلهيّ ذو البصيرة الثّاقب النّظر المهمّة أصعب في ظروف الفتنة، والتّشخيص أشدُّ صعوبة.

طبعاً، الله تعالى يُتمُّ الحُجَّة دومًا، ولا يَدَعْ للنّاس عليه -عزّ وجلّ- سبيلًا وحُجَّةً ليقولوا له: إنّك لم تُتِمَّ الحُجَّة علينا، ولم تبعث هاديًا، لذلك ضلَلْنا وسرنا في الطّريق الخطأ، هذا معنىً مذكور في القرآن مرارًا. يمكن رؤية يَدُ الإشارة الإلهيّة في كلّ مكان، لكنّ ذلك يحتاج إلى عَيْنٍ مفتوحة. إذا لم نفتح أعيُننا فلن نرى هلال اللّيلة الأولى من الشّهر، لكنّ الهلال موجود. يجب أن نفتح أعيُننا وننظر وندقّق ونستثمر جميع إمكاناتنا، حتّى نرى هذه الحقيقة الّتي وضعها الله أمام أعيُننا»[1].

هذه الرّوحيّة من الاعتقاد بحضور الله تعالى في جميع الأفعال، كانت ديْدَن الإمام الخمينيّ قدس سره، وكان دقيقًا في ذلك، وفي تشخيص الأمور، حتّى حينما يظنّ الأغلب أنّ مجرى الحوادث هي من صُنْع أيديهم. ينقل الإمام الخامنئيّ دام ظله بعض أحوال الإمام عُقْب تحرير «خرمّشهر»، فيقول: «حينما كان الإمام وحده لم يعتَرِهِ الخوف ولا اليأس، ويوم راح الشّعب الإيرانيّ كُلُّه ينادي ويهتف باسمه، بل عشِقَتهُ سائر الشّعوب، وأبدَتْ حبَّها له، لم يُصَبْ بالغرور. يوم سقطت مدينة «خرمّشهر» بِيَد المعتدين العراقيّين، لم يقنط الإمام، ويوم استردّ جنودنا هذه المدينة بتضحياتهم وبسالتهم لم يُصَب الإمام بالغرور،

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السنوية لانتفاضة التاسع عشر من شهر «دي» 2010/01/09م.

وقال: «الله هو الّذي حرّر خرمّشهر»... أيْ إنّنا لا دور لنا. في جميع الأحداث المتنوّعة خلال فترة زعامة هذا الرّجل الكبير كان على هذه الشّاكلة والطّريقة. لم يفزع يوم كان وحدَه، ولم يغترّ ولم يغفل يوم انتصر، وكانت له السّلطة والقدرة، هذه هي الثّقة بالله، هكذا ستكون القضيّة إذا كان الهدف رضا الله».

ضرورة الاعتماد على الوعد الإلهيّ

هناك قاعدة في العلاقة مع الله تعالى تقوم على قانون اللُّطف الإلهيّ، فالله سبحانه وتعالى تامُّ اللُّطف بعباده؛ فمتى توجّه عبدٌ إلى تهيئة مقدِّمات سدّ النّقص في ذاته، أتمَّ الله له سعيَهُ وأوصله إلى غايته. وهذا القانون يجري وفق الوعد الإلهيّ الّذي ورد ذكره في القرآن مرارًا، إنّ «الله لا يُخلف الميعاد». كان الإمام الخمينيّ قدس سره شديد الاعتماد على الوعد الإلهيّ؛ فكان يراه بعينه ويَشعر به في قلبه في جميع سَيْر الثّورة المباركة. فالاطمئنان إلى الوعد الإلهيّ من خصائص الإمام ومن مِيْزات خطّهِ ونهجِهِ. يشرح الإمام الخامنئيّ دام ظله هذا المبدأ ببيانِه، فيقول: «يجب الاعتماد على الوعد الإلهيّ، يقول الله تعالى في سورة «الفتح»: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾[1]، من خصوصيّات المُنافق والمشرك أنّهما يُسيئان الظّنّ بالله، ولا يثقان ولا يؤمنان بالوعود الإلهيّة. حينما يقول الله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾[2]، فإنّ المؤمن يتقبّل هذا القول من أعماق وجوده وكيانه، أمّا المُنافق فلا يتقبّله. يقول الله: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[3]، هذه هي حال الّذين يُسيئون الظّنّ بالله».

كان الإمام مُطمئنّ النّفس للوعد الإلهيّ. إنّنا نجاهد لله ونسير خطواتنا لله، ونبذُل كلّ جهودنا ومساعينا في السّاحة، وسوف يحقّق الله تعالى لنا النّتائج كما وعدنا. إنّنا نعمل بدافع التّكليف، لكنّ الله تعالى يمنحنا أفضل النتائج على عملنا بالواجب والتّكليف. هذه

(1) سورة الفتح، الآية 6.
(2) سورة الحج، الآية 40.
(3) سورة الفتح، الآية 6.

من خصائص منهج الإمام وخطّه، وهذا هو طريق الثّورة وصراطها المستقيم».

وكان الإمام الخمينيّ قدس سره، يرى أنّ النّصر إذا ما قام الشّعب المؤمن بتوفير شروطه، فإنّه آتٍ لا محالة، وأنّ الله سبحانه وتعالى سيمدُّ يَدَ العون والمَدَد إلى تلك الجّموع الثّائرة، كان إيمانهُ بالنّصر إيمانًا مُنقطِع النّظير.

يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «إنَّ العامل الأساسيّ لسموّ إمامنا العظيم ونجاحه، هو أنَّه آمن مِنْ أعماق كيانه وقلبه بمبدأ وحقيقة قرآنيّة، وسعى لتحقيقها بكلّ ما يمتلك من قوّة. هذا المبدأ والحقيقة القرآنيّة، هو ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾[1]، والّذي جاء مثله في آياتٍ كثيرة أكّدت على ذلك أيضًا، فمن ينصر الله ينصره الله، ومن يخطُ خطوةً في سبيل الله، يُضاعفها إلى عشرات ومئات الخطوات نحو الأمام، هذه هي إحدى الحقائق والقوانين الإلهيّة، وهي: أنَّ نُصرة الله تعالى تعني نُصرة الدّين»[2].

المبادرة في العمل

إنَّ الإمام الخمينيّ قدس سره، مع وضوح التّكليف عنده، والتزامه طوال حياته الشّريفة بأداء التّكليف الإلهيّ المُلقى عليه، واعتماده على الله تعالى وتيقُّنه من إحاطته بالمَدَد الغيبيّ والمعنويّ، كان مع ذلك كلّه على رأس المُبادرين دومًا في إنجاز دوره في هذه الثّورة المباركة. كان يحثُّ الآخرين بالموعظة الحسنة وبيان أهمّيّة التّحرُّك، ولكنّه في المقابل كان يعلّم الآخرين الثوريّة بفعله ومبادرته، ويشهد على هذه الرّوح القياديّة والمبادِرة تلميذُه المخلص الإمام الخامنئيّ دام ظله، الّذي شَهِد نشاط الإمام وفاعليّته على مدار سنواتٍ طويلة، يقول دام ظله عن ذلك: «إنّ القائد الحكيم والفقيه، وهو العبد الصّالح والنّموذج الإسلاميّ، كان في طليعة هذه الحركة إيمانًا وعملًا، وقد حوّل الإيمان روحه إلى روح كبرى استطاعت أن تُترع القلوب الفارغة من الإيمان والأوعية الخالية، وأن تملأها من فيضان إيمانها في السّاحة العمليّة، واخترق شعاع

(1) سورة محمد، الآية 7.

(2) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّنويّة السابعة عشرة لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2006/6/4م.

إيمانها الجُدر السّميكة الرّفيعة لحالة اليأس واللّاإيمان، فملأ آفاق الكفاح والمحبّة بالحيويّة»[1].

الثّبات في أداء التّكليف

إنّ شخصًا في مقام الإمام الخمينيّ قدس سره، العلميّ والأخلاقيّ والجهاديّ، لا يمكن أن يُتوقّع منه إلّا الثّبات في أداء التّكليف الإلهيّ وفي كلّ المواقف، وهذه نتيجة طبيعيّة لكلّ الأُسُس العقائديّة والفقهيّة والأخلاقيّة، الّتي بنى عليها الإمام مسيرته الثوريّة في حياته. إلى ذلك، فإنّ هذا الرّجل لا يمكن أن ينصاع لمنطق التّهديد، فأيّ تهديد يمكن أن يُخيف إنسانًا، يرى بعين القلب أن لا مؤثّر في الوجود إلّا الله؟

يسمّي ذلك الإمام الخامنئيّ دام ظله بالرّوح الحسينيّة، وهي الرّوح الّتي واجه بها الإمام الحسين عليه السلام كلّ الأعداء وحيدًا. يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «لم يحصل خلال الحياة الشّريفة للإمام الّتي امتدّت عشر سنوات من بعد انتصار الثّورة أن تردَّدَ لحظةً واحدة بسبب ضخامة تهديد العدوّ في أيِّ بُعْد من الأبعاد؛ أي إنّه كان يتمتّع بتلك الرّوح الحُسينيّة نفسها. الحرب تقترن عادةً بالخسائر، وكانت حياة الإنسان عزيزةً على الإمام، فهو يبكي أحيانًا على الإنسان الّذي يعاني ويتألّم، وأحيانًا تترقرق الدُّموع في عينيه، وهذا ما شاهدناه مراراً، فقد كان إنسانًا رحيمًا وعطوفًا، وقلبه طافحاً بالإنسانيّة والمحبّة، لكنّ هذا القلب الطّافح بالمحبّة لم يرتعش يومًا أمام التّهديد، ولم يَزِلّ ولم يتراجع ولم يتنازل طوال السنوات العشر هذه، فأدرك أعداء الثّورة كلّهم، ولمسوا بالتّجربة أنّ الإمام لا يمكن إرعابه، وإنّها لنعمةٌ كبرى بأن يشعر العدوّ بأنَّ هذا الرّجل لا يمكن إزاحته من السّاحة بالخوف والتّهديد. وقد أدرك الجميع بما لمسوه من تلك الشّخصية القويّة الّتي كان يتحلّى بها الإمام أنّه رجل لا يمكن إخراجه من السّاحة، ولا يمكن تهديده بالضّغوط، والتّهديد العمليّ أيضًا لا يُجدي نفعًا في ثَنْيِه عن منهجه؛ لذلك اضّطروا إلى مُجاراته»[2].

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّنويّة الأولى لرحيل الإمام { 1990/6/4م.
(2) الذّكرى السّنويّة السّابعة لرحيل الإمام الخميني قدس سره 1996/6/4م.

إذاً، هذه الشّخصيّة الإلهيّة الّتي امتلكها الإمام الخمينيّ وأثّرت في الشّباب الثوريّ، لها جذورٌ مُحْكَمة في تُربة الولاء الحسينيّ، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله:

«إنّ ما يمكن استنتاجه من هاتين الكلمتين - وهذا الاستنتاج طبعًا قابل للتّعميم وللتّأمُّل - هو:

- أولاً: إنّ من جملة الخطوط البارزة، بل الخطّ المميّز لثورة عاشوراء، هو استقامة الإمام الحسين عليه السلام.

- والاستنتاج الآخر هو أنّ إمامنا الكبير -رضوان اللّه عليه- اتّخذ الاستقامة الحسينيّة كمنهج له في نهضته وفي نمط حياته؛ ولذلك استطاع ضمان استمراريّة الجمهوريّة الإسلاميّة، وصَدَّ العدوّ عن أسلوب الضّغط والتّهديد؛ لأنّه بيّن للعدوّ أنَّ الضّغط والتّهديد والهجوم لا يُجدي نفعًا، وأنّ هذا القائد ليس بالرّجل الّذي تثنيه مثل هذه الأفعال»[1].

النّشاط في العمل من آثار الاعتقاد بالتّكليف

لقد كان الإمام الخمينيّ قدس سره مِثالًا للنَّشاط والهمَّة العالية في أداء التّكليف. لسنا نتحدّث هنا عن حالة طبيعيّة لشابٍّ ثائر، فقد بدأ الإمام الخمينيّ قدس سره حركته وهو في سنّ الثّالثة والسّتين، ولكنّه كان في حركته يملك روح الشّباب، بل كان في مقدِّمة الشّباب في تحمُّل المشاقّ والصّعاب طوال السّنوات المديدة للنّهضة العظيمة الّتي قام بها. هذه الرّوح الفتيّة للإمام أثارت إعجاب العالم، حتّى إنّ الإمام الخامنئيّ دام ظله كثيراً ما يذكرها بإعجابٍ وإكبارٍ شديدَين.

يسرد الإمام الخامنئيّ دام ظله شيئًا من نشاط الإمام الخمينيّ قدس سره في العمل والثّورة، فيقول: «لقد استُغلّت هذه التجربة مرّة واحدة بشكل صحيح وتحقّق فيها النّصر المُطلَق، ألا وهي الثّورة الإسلاميّة في عصرنا، لقد خلق الباري تعالى إمامنا العظيم بشكلٍ لم تكن تلك الشّخصيّة تشعر بالتّعب والهزيمة، ولم يكن للفشل أثرٌ في روحه قطّ، بل كان يحاول التقدّم حتّى في أصعب الظّروف، فقد رأيتم عن قُرب، طوال الأعوام الثّمانية من الحرب، أنّ الّذي لم

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّنويّة السّابعة لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 1996/6/4م.

يقرّر الانسحاب في أصعب الظّروف هو شخص الإمام قدس سره، فكان صامدًا كالجبل الرّاسخ، والإنسان يجاهد بسهولة لو كان وراءه جبلٌ راسخ كالإمام، وقد كان الإمام هكذا في مرحلة الكفاح أيضًا، فاستمرّ في الكفاح برغم الكثير من الهزائم والصّعاب والتّعذيب والضّغوط والنّفي وكِبَر السنّ، حيث لم يكن الإمام شابًّا عندما دخل ساحة الكفاح، بل كان يبلغ ثلاثة وستّين عامًا عندما بدأ الكفاح، وأتذكّر في خطاباته عام 1341هـ.ش [1962م] حيث كان يقول: لماذا وممّ أخاف؟ فإن قتلوني فعمري ثلاثٌ وستّون، سأموت وأنا في عمر النّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام، فأيّ سعادةٍ أعظمُ من هذه؟ هكذا كان منطِقُه»[1].

واستمرّ الإمام في ذلك النّشاط وتلك الفاعليّة، حتّى في زمن الدّفاع المقدّس والسّنوات الّتي تلَت قيام الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «لقد استطاع تحمُّل جميع المشاقّ في الكِبَر، وعندما تسلّم قيادة الثّورة العظيمة كان في الثّمانين من عمره، وقادها بتبعاتِها العظيمة الّتي شاهدتموها حتّى سنّ التّسعين. ولم تهزّ هذا الجبل الرّاسخ قطّ تهديدات أمريكا، والاتّحاد السّوفياتيّ، واتّحاد القوّتَين العُظميَين، وحرب السنوات الثّماني، والهجوم على طَبَس، والحظر الاقتصاديّ والإعلاميّ والسّياسيّ وغيره، «لا تحرِّكَهُ العواطف»؛ لهذا استطاع أن ينتصر»[2].

الثّبات على التّكليف

حدَثَ كثيرًا في العديد من الثّورات الّتي قامت في العالم، أنْ تراجَع الثّوّار عن العديد من مبادئ ثوراتهم، وغيّروا من أقوالهم وأفعالِهم، أو أصابهم الوَهْن والضّعف والخوف والاستسلام، لكنّ الإمام الخمينيّ قدس سره كان شخصيّة فريدة على مستوى الثّبات، وعدم تغيُّر مبادئه ومواقفِه قَبل الثّورة ولا بعدها. يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «لم يلحظ أحدٌ في الإمام حتّى آخر أيّام حياته، أيّ أثرٍ للكآبة والتّردُّد والتّعب والإهمال والاستسلام. يُصاب الكثير من ثوّار العالم بالتردُّد عندما يَصلِون إلى سنّ الكهولة والشّيخوخة، وبالتحفُّظ على

(1) خلال لقاء طلبة الجامعات والمدارس 8 جمادى الأولى 1413 هـ.

(2) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، بتاريخ 3 شعبان 1416 هـ بمناسبة ولادة أبي الأحرار الحسين بن علي عليه السلام.

بعض الأمور، حتّى إنّهم يتراجعون عن كلامهم الرّئيسيّ في بعض الأحيان، إلّا أنّ كلام الإمام في سنوات عمره الأخيرة، كان أحيانًا أكثر ثوريّة من عام 1963م، أشدّ وأقوى. كان يَشيخ، لكنّ قلبَهُ ظلّ شابًّا، وروحه توّاقة»[1].

إنّ منشأ هذه الاستقامة والثّبات برأي الإمام الخامنئيّ دام ظله ترجع إلى أصلٍ قرآنيّ آمنَ به الإمام الخمينيّ وذكره في خطاباته بشكلٍ متكرّر:

«إنّها الاستقامة الّتي جاءت في القرآن الكريم: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾[2]، وفي آيةٍ أخرى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[3]. هذه العقائد أَبقت الإمام حيًّا وشابًّا، وخلّدت فكر الإمام وطريق الإمام. إنّ طريقة الإمام عند هذا الشّعب بعثَت الأمل والثّقة بالنّفس والتّوكُّل على الله. لقد حلَّت مكان اليأس والظُّلمة والتّشاؤم. لقد غيّر الشّعب الإيرانيّ روحيّته، فغيّر الله ما بهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[4]»[5].

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، مراسم الذّكرى الـ «24» لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2013/06/04 م.
(2) سورة الجن، الآية 16.
(3) سورة فصّلت، الآية 30.
(4) سورة الرعد، الآية 11.
(5) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، مراسم الذّكرى الـ «24» لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2013/06/04 م.

المفاهيم الرّئيسة:

1. الارتباط بالله تعالى هو أساسُ الفكر الحيّ الّذي سعى الإمام الخمينيّ لترسيخه، وجعله سببًا لحركة الأُمّة الإسلاميّة من جديد.
2. إنَّ أداء التّكليف ثقافة خمينيّة، وهو يعني القيام بكلّ ما هو مطلوب من أجل تحقيق رضا الله تعالى، من دون أن يُنسب الفضل في ذلك إلى النّفس، مهما كان الإنجاز أو الموقف أو النّصر عظيمًا واستثنائيًّا.
3. أحد أسرار هذا الثّبات على أداء التّكليف هو الاعتقاد بأنّ الله سبحانه وتعالى هو الحاضر خلف إنجاح التّكليف، وإيصال الأمور إلى مقاصدها؛ لأنَّ جميع ما في السّماوات والأرض قائم بالله، وإحاطَتُه بكلّ شيء تكْفَل إنجاح العمل.
4. من القواعد الّتي تُستفاد من فكر الإمام الخمينيّ، قاعدة اللُّطف في العلاقة مع الله تعالى؛ فالله سبحانه وتعالى تامُّ اللّطف بعباده؛ فمتى ما توجَّه عبد إلى تهيئة مقدِّمات سدِّ النَّقص في ذاته، أتمَّ الله له سَعْيَه وأوصلَهُ إلى غايته.
5. كان الإمام الخمينيّ قدس سره على رأس المُبادرين دومًا في إنجاز دوره في هذه الثّورة المباركة.
6. إنَّ الإمام الخمينيّ قدس سره كان في موقع الثّبات في أداء التّكليف الإلهيّ دومًا، وهذه نتيجة طبيعيّة لكلّ الأُسُس العقائديّة والفقهيّة والأخلاقيّة الّتي بنى عليها الإمام مسيرتَهُ الثوريّة في حياته.
7. يسمّي الإمام الخامنئيّ دام ظله الرّوح الثّابتة للإمام الخمينيّ بالرّوح الحسينيّة، وهي الرّوح الّتي واجه بها الإمام الحسين عليه السلام كلّ الأعداء وحيدًا.
8. إنّ النّشاط في العمل هو من آثار الاعتقاد بالتّكليف، فقد كان الإمام الخمينيّ قدس سره مثالًا للنَّشاط والهمَّة العالية في أداء التّكليف.

الدَّرس السَّابع

معالِم معنويّة في نهج الإمام الخمينيّ قدس سره (2)

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يَتعرَّف إلى بُعْد التّقوى وآثارها في حياة الإمام الخمينيّ.
2. يَشرح بُعْدَ الإخلاص ومركزيّتَهُ في روحانيّة الإمام الخمينيّ.
3. يُحلِّل أبعادًا معنويّة في نهج الإمام، مثل: العبادة والدُّعاء والعِزّة.

نكمل في هذا الدرس ما بدأنا الحديث عنه حول معالم النهج الخمينيّ المعنويّ، لنذكر قسماً أساسيّاً ومهمّاً من هذه المعالم المعنويّة التي لا يمكن بأيّ شكل من الأشكال التغافل عنها إذا ما أردنا أن نفهم خطّ الإمام قدس سره ومنهجه الأصيل.

التّقوى

لقد كان الإمام الخمينيّ قدس سره مثالًا للتّقوى في حياته الشّخصيّة والعامّة والثوريّة. ومراعاته للتّقوى في ظلّ تلك الظّروف الصّعبة والمُعقّدة لم يكن أمرًا سهلًا، بل كان شبيهًا بالمعجزة، ودليلًا على شدّة تهذيب الإمام لنفسه، ومراقبته لها في الأحوال كلّها. يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾[1]، وهذه المعيّة الّتي وعدنا الله بها، كان الإمام الخمينيّ قدس سره يعتقد بها جزمًا وعملًا، يذكر ذلك الإمام الخامنئيّ دام ظله: «من الأمور الّتي يمكن ملاحظتها على هذا الصّعيد مراعاة الإمام العجيبة للتّقوى في كلّ الأحوال والأمور. التّقوى في الشّؤون الشّخصيّة شيء، وفي الشّؤون الاجتماعيّة والسياسيّة والقضايا العامّة شيء آخر أصعب وأهمّ وأكثر تأثيرًا وخطورة بدرجات ودرجات»[2].

والإمام الخامنئيّ دام ظله العاشق للإمام، والّذي رأى كيف كانت حياة الإمام مجبولة بالتّقوى والخوف من الله تعالى ينصح بما يأتي: «أريد أن أقول لشبابنا الأعزّاء، الشّباب الثوريّ المؤمن العاشق للإمام أن يراعوا التّقوى مراعاةً تامّة حينما يتحدّثون ويكتبون

(1) سورة النحل، الآية 128.

(2) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، ولادة الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام وسيدة نساء العالمين 2010/5/4م.

ويبادِرون ويعملون. مخالفَتُنا لشخص يجب أن لا تدفعنا للخروج عن جادّةِ الحقّ وممارسة الظّلم فيما يخصُّ ذلك الشّخص. كلّا، يجب عدم ارتكاب الظُّلم، وينبغي عدم ممارسة الظُّلم ضدّ أيٍّ كان»[1].

هناك اعتقاد عند الإمام الخامنئيّ دام ظله، وكذلك عند أتباع هذا النّهج الأصيل، أنّ ممارسة الإمام الخمينيّ التّقوائيّة نفسها في حياته، كانت سببًا لهذه القيادة إلى نَيْل التّوفيق النجاح، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «وحديثي هذا حول شهر رمضان، هو مفتاح لإصلاح الأُمور كلّها، وهو يبدأ من هنا، كما أنّ الثّورة بدأت منه؛ أي من المسجد والدّين والتّقوى. فإنّ من ينظر إلى الإمام العظيم قدس سره يعرف أنّ القاعدة الأصيلة لهذه الحركة العظيمة هي التّقوى، فالإمام كان تجلّيًا للتّقوى والتّوجّه والمعرفة والإخلاص والعمل لله، ولولا ذلك، ولو لم يكن الإمام صالحًا ومن أهل التّقوى والمعرفة إلى هذه الدرجة، لما آلَ الأمر إلى ما نحن عليه الآن. إذًا، هذه مقدّمة الإصلاح»[2].

وكمثال على ممارسة الإمـام الخمينيّ قدس سره للتَّقوى، يذكر هذه القصّة الإمام الخامنئيّ دام ظله في أحد خطاباته، فيقول: «أنقل لكم ذكرى عن الإمام: ذهبنا ذات يوم إلى الإمام، فسألته عن رأيه بشأن أحد الأشخاص -لا أريد أن أذكر اسمًا، إنَّه كان من الشَّخصيّات البارزة في العالم الإسلاميّ المُعاصر، حيث سمعتم باسمه جميعًا، الكلّ يعرفه- تأمّل الإمام قليلاً، ثمّ قال: لا أعرفه، ثمّ بعد ذلك ذكَر عبارةً فيها شيء من الذّم بشأنه، ثمّ انتهى الأمر. في اليوم التّالي أو الّذي يليه -لا أتذكّر تماماً- ذهبت إلى الإمام صباحًا، حيث كان لديّ عملٌ معه، فبمجرّد أن دخلْت الغرفة وجلست، قبل أن أذكر ما جئت من أجله، قال الإمام لي: فيما يتعلّق بذلك الشّخص الّذي سألت عنه أمس أو قبله «هو لا أعلم فقط»؛ أيّ إنّه قام بمحو تلك الجملة الّتي فيها شيءٌ من الذم والّتي ذكرها بعد قوله «لا أعلم». أُنظروا، هذا أمرٌ مهمٌّ جدّاً، فتلك الجملة لم تكن سبًّا أو إساءة أو تُهمة، ولحُسن الحظّ فإنّها قد مُحيت تمامًا من ذاكرتي، فإمّا أنّ ذلك بسبب تصرُّفه المعنويّ، أو بسبب

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، ولادة الصدّيقة الكبرى فاطمة الزّهراء عليها السلام وسيّدة نساء العالمين 2010/5/4م.
(2) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، عيد الفطر السّعيد (الأوّل من شوال 1431 هـ).

ضُعف ذاكرتي أنا، لا أعلم ماذا كان، ولكن ما أتذكّرُه هو أنّها كانت جملة فيها شيء من الذّمّ، فما ذكره في تلك اللّيلة قام بمَحْوِه بعد يوم أو يومين، فقال: كلّا، هو لا أعلم فقط. لاحظوا، هذه من مصاديق الأسوة: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1].

وبشأن زيدٍ الّذي لا تقبلونه، يمكن الكلام بطريقتين: إمّا أن يكون كلامنا مُطابقًا للحقّ تمامًا، وإمّا أن يكون فيه شيءٌ من الظّلم. فالثّاني هو السيّئ، وينبغي اجتنابه. فلا تقولوا إلّا الحقّ والصّدق، وما يمكنكم قوله في محكمة العدل الإلهيّ، لا أكثر. فهذه من المناهج الأساسيّة لحركة الإمام وخطّه؛ والّتي ينبغي أن نحفظها في ذاكرتنا»[2].

الإخلاص لله مَظهر الرّوحانيّة في مدرسة الإمام

إنّ مواجهة الاستكبار في جميع الأزمنة كان يستدعي وجود قيادة وجماهير مُخلصة لله تعالى، ومتى ما أُصيبت جبهة الحقّ في تعلُّقها بالله تعالى وإخلاصها له، انتكس سيْرُها وابتُليت بالهزائم، هذا ما حصل للمسلمين في معركة أُحد وغزوة حُنين، حينما مالت قلوبهم إلى الدّنيا، وإلى الاتّكاء على قوّة العِدّة والعَدد من دون الله تعالى. هذه الدّروس التّاريخيّة، فضلًا عن بُعدها العقائديّ، وعاها الإمام الخمينيّ ونقل ذلك الوعي إلى جماهير الشّباب الثّائر، وأثبتت عقيدة الإخلاص لله في نهج الإمام الخمينيّ نجاعَتَها في قَلْب الأمور على الشّاه، وفي الثّبات طوال سنوات الدّفاع المقدّس أمام هجمة الاستكبار العالميّ.

لقد كان الإمام مُخلصًا لله

1. **الإخلاص مَظهر روحانيّة الإمام:** يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «كان مَظهر الرّوحانيّة في الإمام الجليل وبالدّرجة الأولى هو إخلاصه. كان الإمام يقوم بالعمل لله. فمنذ البداية، كان كلّما أدرك التّكليف الإلهيّ يؤدّيه، ولم يأبَ الإمام أيّة تضحية على هذا الطّريق. فمنذ بداية المواجهات والنّضال في عام 1962 كان الإمام على هذا المنوال، يتقدّم من خلال التّكليف. ولطالما ردّد هذا الدّرس على النّاس والمسؤولين، أنّ ما

(1) سورة الأحزاب، الآية 21.

(2) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّنويّة الحادية والعشرون لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2010/6/4م.

هو مهمّ هو التّكليف. نحن علينا أن نؤدّي تكليفنا، ونتيجة عملنا بِيَد الله. لهذا، كان مظهر الرّوحانيّة المهمّ في سلوك الإمام، عبارة عن إخلاصه. لم ينطق بكلمة أو يفعل فعلًا أو يُقدم خطوة من أجل الحصول على ثناء هذا وذاك وتمجيده. فما أدّاه لوجه الله نال عليه البركة من الله وصار خالدًا، فهذه هي خاصّيّة الإخلاص»[1].

2. **توصياته بالإخلاص:** وكان درس الإخلاص دائم التّكرار على لسانه في توصياته للمسؤولين والشّعب: «كان الإمام يكرّر هذه الوصيّة على المسؤولين، فكان يأمرنا بأن نكون من المتوكّلين والواثقين بالله الّذين يُحسنون الظّنّ بربّهم ويعملون لله»[2].
3. **العبادة وتقوية الإخلاص:** فوق ذلك كلّه كان هو من أهل الإخلاص قولًا وعملًا: «وكان هو من أهل التّوكّل والتّضرّع والتّوسّل والاستمداد من الله ومن أهل العبادة؛ فبعد نهاية شهر رمضان، عندما كان المرء يرى الإمام، كان يشعر بنورانيّته شعورًا حسّيًّا. كان يستفيد من فُرص الحياة من أجل التّقرّب إلى الله تعالى، ومن أَجل تطهير قلبه وروحه الطّاهرة»[3].
4. **عدم السّعي وراء الغايات الشّخصيّة:** يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «قيل: إنّه لو كان المرء يتطلّع في ساحة الجهاد في سبيل الله إلى غاية شخصيّة كأَنْ يطلب الغنيمة ويُقتل، فلن يُعدّ شهيدًا في سبيل الله. شرط الشّهادة وشرط الجهاد في سبيل الله هو أن يكون تحرُّكه في سبيل الله ولله، بمعنى أن يتحلّى بالإخلاص. إذا أثّرت الدّوافع الشّخصيّة والمحفّزات الفئويّة والعائليّة وحالات الخجل من الأصدقاء في مسيرتنا وحركتنا، لكان هذا الإخلاص مَشوْبًا وغير نقيّ ولَوَقعت لنا مشاكل. عدم الإخلاص سيُفصح عن نفسه في موضع من المواضع»[4].
5. **تجلّي الإخلاص في النّقد الذّاتيّ:** فالإمام الّذي كان قِبلة الثّائرين ومحطّ أنظار العالَم،

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، كلمة الإمام الخامنئيّ دام ظله في الذّكرى 22 لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2011/6/4م.
(2) المصدر نفسه.
(3) المصدر نفسه.
(4) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، في الطلبة غير الإيرانيّين بحوزة قمّ 2010/10/25م.

لم يكن يتورّع عن الاعتراف بالخطأ في أيّ مسألة أو قضيّة حصل فيها اشتباه. وهذا الأمر، لشخصٍ في مكانته وعمره والظّروف المحيطة به، لم يكن شيئًا عاديًّا، ويدلّ على إخلاصٍ هذا الإنسان العظيم لله تعالى. يَنقل الإمام الخامنئيّ دام ظله هذا الأمر، فيقول: «وفي تصريحاته إنّني أخطأت في القضيّة الفلانيّة، أقرّ بأنّه قد أخطأ في القضيّة الفلانيّة، ومثل هذا الأمر يتطلّب عظَمَة كبيرة؛ فروح أيّ إنسان ينبغي أن تكون عظيمة لكي تتمكّن من القيام بمثل هذا الأمر، حيث ينسب الخطأ والاشتباه إلى النّفس! هذه هي روحانيّة الإمام وأخلاقه، وهي أحد الأبعاد المهمّة للدّرس الّذي عَلَّمَنا إيّاه الإمام»[1].

العبادة في حركة الإمام الخمينيّ قدس سره

العبادة في حياة الإمام الخمينيّ قدس سره هي معرفة وسلوك وعمل، كان من عباد الله الدّاعين إليه في السّراء والضّراء، وله مع الدُّعاء حالات وأسرار، وإنّ سَيْره وسلوكه الّذي شَهِدت عليه الأمّة، كانا مجبولَيْن بحالة معنويّة رفيعة للدُّعاء، فيها المَنْزِلة العظمى. كان عاشقًا للدُّعاء والخَلوة مع الحبيب. لقد أحيا الإمام حُبّ الدّعاء في قلوب الشّباب من خلال دعاء كميل ودعاء النّدبة والمناجاة الشّعبانيّة ومفاتيح الجِنان، فصار الدّعاء أنيس المجاهدين في الجبهات والشّباب في المساجد. يَذكر الإمام الخامنئيّ دام ظله المناجاة الشعبانية الّتي كان الإمام مواظبًا عليها في شهر العبادة شعبان: فيقول: «... شهر شعبان، شهر العبادة، شهر التّوسّل، شهر المناجاة، وشهر: «**واسمع دُعائي إذا دعوتك، واسمع ندائي إذا ناديتك**» فَصْلُ مناجاةِ الله المُتعال، فَصْلُ وَصِلِ هذه القلوب الطّاهرة بمعدن العظَمة، معدنِ النّور، ويجب معرفة قَدْر ذلك. فالمناجاة الشعبانيّة تُحفةٌ وُضِعت في تصرّفنا. حسنًا، لدينا العديد من الأدعية، المليئة بالمضامين السّامية، لكنّ بعضها أكثر تمايزًا. لقد سألت الإمام العظيم -رضوان الله عليه- وقلت له: أيّ دعاء من بين الأدعية كلّها الّتي وصلت إلينا عن الأئمّة عليهم السلام أحببته، وتعلّقت به أكثر؟ فأجاب: دعاء «كميل» و«المناجاة

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، في الذّكرى 22 لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2011/6/4م.

الشّعبانيّة». بهذين الدّعاءين، كان الإمام مُقبلاً على الله، كان أهل التّوسّل، أهل التّضرّع، أهل الخشوع، أهل الاتّصال بمنشأ الخِلقة. وكان هذان الدعاءان بنظرِه هما الوسيلة الأَمْثل: «دعاء كميل والمناجاة الشّعبانيّة». عندما يعود الإنسان لهذين الدعاءَيْن ويدقّق فيهما، يجد كمْ هما متشابهان، متشابهان إلى حدّ كبير، مناجاة إنسانٍ خاشع، مناجاة إنسانٍ متوكّلٍ على الله، «**كأنّي بنفسي واقفة بين يديك، وقد أظلّها حُسنُ توكّلي عليك، فقلتُ ما أنتَ أهله، وتغمّدتني بعفوك**». الأمل، أملٌ بالمغفرة الإلهيّة، بالرّحمة الإلهيّة، بالتّوجّه الإلهيّ، بالهمّة العالية في الطّلب من الله، «**إلهي، هَبْ لي كمال الانقطاع إليك، وأَنِرْ أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك**»[1].

إنّ الإمام الّذي كان من المتعبّدين، وأفنى قوّة الشّباب في طاعة الله وعبادته، لم ينفكّ عن العبادة في زمان العَجْز والكِبَر، ولربّما زادت نورانيّة عبادته في آخر العمر، بذلك الانكسار والبكاء والتّضرُّع الّذي زادت نسبته في السّنوات الأخيرة من أيّامه قدس سره، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله حول هذه النّقطة: «ومع أنّ الإمام الرّاحل -رضوان الله عليه كان منذ أوّل أمرِه من أهل العبادة، كما سمعنا ورأينا، لكنّه في الفترة الأخيرة من عمره- والإنسان حينما يهرم تغدو الصّلاة والعبادة والدّعاء صعبة عليه، كما هي الحال في سائر الأعمال الأخرى، بينما الشّاب فكما أنّه يمارس الرياضة البدنيّة بسهولة كذلك يمكنه أن يمارس العبادة بشكلٍ أسهل ـ وبرغم شيخوخته وفترة عجزِه، إلّا أنّه أخذ يُكثر من البكاء والتّضرُّع، وكان الله تعالى في المقابل يُيسّر المهامّ، ويُجري الأعمال على قدر ذلك الارتباط»[2].

المجالس الحُسينيّة وتعزيز الجانب المعنويّ

كان من سيرة الإمام الخمينيّ قدس سره، الاهتمام بمجالس العزاء الحُسينيّة، بل كان هو على درجة عالية من العلاقة الوجدانيّة بسيرة الإمام الحسين الكربلائيّة، وسرعة التّأثُّر والبكاء حين سماعه للمصيبة، كما حدث أكثر من مرّة في لقاءات عامّة في حسينيّة جمران.

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، ذكرى مولد الإمام الحسين عليه السلام 2013/06/12 م.
(2) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، توصيات للحكومة الجديدة 20 ربيع الثاني 1418هـ.

والمشاركة في هذه المجالس من وصايا الإمام الخمينيّ، لِما لها من تأثيرٍ معنويٍّ كبير، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «هناك أمور تُقرّب النّاس إلى الله وتعزّز تمسُّكَهم بتعاليم الدّين، ومن هذه الأمور هي مراسم العزاء التّقليديّة، وإنّ ما أوصانا الإمام -رضوان الله تعالى عليه- بإقامة مراسم العزاء التّقليديّة، هو المشاركة في المجالس الحُسينيّة ونعي الإمام الحسين عليه السلام والبكاء عليه واللّطم على الصّدور في مواكب العزاء، وهي من الأمور الّتي تعزّز المشاعر الجيّاشة إزاء أهل البيت»[1].

الارتباط بالشُّهداء من أُسُس البُعْد المعنويّ

إنّ ارتباط الشُّهداء بالإمام الخمينيّ وعلاقته فيهم، لَهو أمرٌ يكادُ يُثير غيرة السّائرين في هذا الخطّ العظيم، لقد كان الإمام قِبلةً لهم، وكان هو عاشقًا لهم، وكانوا يَنهلون من عرفانه، وكان يوصي هو بعرفانِهم. والإمام الخامنئيّ دام ظله لكونه من ذلك الجيل المحيط بالإمام، يعرف أكثر من غيره أسرار هذه العلاقة، فيقول محدّثًا عنها:

«لاحظوا مدى الاستيعاب في سنّ الشّباب، ولاحظوا مدى الحماسة والاندفاع والسّعة الّتي تطبَع مرحلة الشّباب، وكيف يمكن بلوغ أرقى المراتب المعنويّة في عهد الشّباب، نعم وقد جرّبتم أنتم ما تحمله فترة الشّباب، في جبهة الحرب، وما قول الإمام حين أمر بقراءة وصايا الشُّهداء، إلاّ لهذا السّبب. وبما أنّني كنت أقرأ هذه الوصايا وما زلت أقرؤها متى ما وقعت بيدي، أدركت سبب تأكيده هذا الأمر؛ إنّها تتضمّن أحيانًا آفاقًا من العرفان الحقيقيّ الأصيل؛ بمعنى أنّ العُرفاء الّذين لديهم من العلوم الدينيّة والعلوم الظاهريّة ما يؤهِّلهم للعروج والتَّكامُل، ويجعلهم أكثرَ نقاءً، لا السّالك الّذي لا يحمل شيئًا من علوم الدّين، وتتسنّى لهم بعد أربعين أو خمسين سنة من المُجاهدة؛ أي في سِنّ السّبعين أو الثّمانين، المشاهدة والإدراك، هذه المرتَبة يستطيع أن يبلُغها شابّ بفضل ما يبذُله من تضحية مُخلصة، خلال بضعة أشهر، يا له من أمر عجيب! لاحظوا كيف تنهمر النّعمة الإلهيّة على القلوب المُخلصة بلا حساب»[2].

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، لقاء علماء وفضلاء وطلبة محافظة كهكيلويه وبوير أحمد 29 ذو الجدة 1404 هـ.
(2) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، إنعقاد المجمع السّنوي لقادة ومسؤولي حرس الثّورة الإسلاميّة 14 جمادى الأولى 1418 هـ.

العزّة من معالم المنهج المعنويّ

إنّ مقارنة بسيطة بين حال الشّعب الإيرانيّ قبل انتصار الثّورة الإسلاميّة فيها، والمرحلة الّتي تلَت هذا الانتصار، تُظهر تحوُّلاً معنويًّا كبيرًا على مستوى الإحساس بالعزّة أمام الأعداء، وكذلك أمام باقي الأُمم والشّعوب. إنّ الأُسُس المعنويّة والعقائديّة الّتي بناها الإمام الخمينيّ في الشّعب، أدّت إلى انتصاره وكسره لمشروع الإذلال والإهانة الّتي كانت تعيشها الأمّة حينها على يَدِ النّظام الشّاهنشاهي.

1. **معنى العزّة:** يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «العزّة هي البُنية الدّاخليّة المتينة لأيّ فرد أو أيّ مجتمع، الّتي تهَبُه الاقتدار في مواجهة العدوّ والعقبات، وتجعله يتغلّب على التّحدّيات»[1].

2. **العزّة في القرآن الكريم:** يشرح الإمام الخامنئيّ دام ظله العزّة في القرآن، فيقول: «بدايةً، سأعرض بحثًا قرآنيًّا مُقتَضبًا. في المنطق القرآنيّ، العزّة الواقعيّة والكاملة هي لله، ولكلّ من يختار أن يكون في جبهة الحقّ. وفي المواجهة بين جبهة الحقّ وجبهة الباطل، بين جبهة الله وجبهة الشّيطان، تكون العزّة لأولئك الّذين يختارون أن يكونوا في جبهة الله، هذا هو المنطق القرآنيّ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[2]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[3]. العزّة لله، العزّة للرّسول وللمؤمنين، فما لم يدرك المنافقون والكافرون هذا الأمر، فإنّهم لن يفهموا أين تكمُن العزّة. في منطق القرآن، يجب طَلَب العزّة من الله»[4].

3. **الإمام الخمينيّ وعزّة الشّعب:** يُطبّق الإمام الخامنئيّ دام ظله هذه المقدّمات الّتي شرحها حول أصول معنى العزّة قرآنيًّا على الإمام الخمينيّ قدس سره، فيقول: «كان الإمام قدس سره طوال حياته المباركة، سواءٌ في ميدان العلم والتّدريس، أو في مرحلة

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى 23 لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2012/6/3م.
(2) سورة فاطر، الآية 10.
(3) سورة المنافقون، الآية 8.
(4) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى 23 لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2012/6/3م.

النّضال العصيبة، أو في ميدان الإدارة والحُكم؛ عندما كان على رأس السُّلطة وممسكًا بزِمام المجتمع، في كلّ هذا كان مِصداقاً لهذه الآية: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾[1]. ولهذا، غدت الأمور والأعمال الكبيرة، الّتي كان الجميع يقولون عنها: إنّها مستحيلة، مُمكنة مع بزوغ شمس الإمام، وتحطّمت بحضور الإمام جميع السُّدود الّتي قيل: إنّها لا تتحطّم. ففضلًا عن أنّه كان نفسُه مظهَر عزّة النّفس والقوّة المعنويّة، فقد نفَخَ روح العزّة في الشّعب أيضًا. كان هو الإنجاز الكبير للإمام الجليل»[2].

4. **الشّعب يسير على خطى عزّة الإمام:** فالشّعب الّذي وَرِث عزّة الإمام، لم يترُكها بعد وفاته، بل أصبح هذا الإرثُ محرِّكًا للشّعب في كلّ الميادين، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «إنّ شعبنا، من خلال الشُّعور بالعزّة الّذي تعلّمه من الثّورة ومن الإمام، استطاع أن يكتشف نفسه، واكتشف قُدراته، وكانت النّتيجة أنّنا شاهدنا بأُمّ العين تحقُّق الكثير من الوعود الإلهيّة في هذه العقود الأخيرة؛ فالأشياء الّتي كنا نقرأ عنها في التّاريخ، ونراها في الكتب، إذا بنا نشهدُها أمام أعيُننا، انتصار المُستضعفين على المُستكبرين، وكيف بدت قصور المُستكبرين الرّائعة بالظّاهر مَبنيّة على شَفا جرفٍ هار، وغيرها الكثير من الحوادث الأخرى الّتي شاهدناها في هذه السّنوات»[3].

الحياء والتّواضع

يندُر أن تجد رئيسًا لدولة له هذا المقدار من «الحياء»؛ إذ عادةً تكون صفة سلبيّة في نظرِهم، ولكنّ الإمام الخمينيّ كان بحيائه يضع كيمياء محبّته في قُلوب المُريدين. ينقل الإمام الخامنئيّ دام ظله خاطرةً عن حياء الإمام وتواضُعه: «في أحد اللّقاءات الخاصّة، كنّا جالسين ليلًا مع بعض الأصدقاء في دار المرحوم السّيد أحمد الخمينيّ، وكان سماحة الإمام موجودًا أيضًا، فبادَر أحدنا بالقول: سيّدنا، إنّ لكم مكانة معنويّة وعرفانيّة رفيعة، فيا حبّذا لو قدّمتم لنا بعض النّصائح والإرشادات. لقد كان لهذا الثّناء المُقتضب من

(1) سورة الشعراء، الآية 217.
(2) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى 23 لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2012/6/3م.
(3) المصدر نفسه.

ذلك التّلميذ إزاء أستاذه، حيث كنّا جميعًا نتصرّف إزاءه كتلاميذ أمام أستاذهم، وكأبناء إزاء أبيهم، وقْعٌ مؤثِّرٌ، انعكس على شكل حياء وتواضُع ظهر على مُحيّاه وعلى سلوكه وعلى كيفيّة جلسَتِه. شعرنا بالإحراج من هذا الكلام الّذي تسبّب في استحياء الإمام. كان لهذا الرّجل الشّجاع، وبما يملكه من طاقةٍ هائلة، مثل هذا التّواضع والحياء في مثل هذه المواقف العاطفيّة والمعنويّة»[1].

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّنويّة العاشرة لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 1999/6/4.

المفاهيم الرّئيسة:

1. التّقوى مِنْ السّمات المميّزة في شخصيّة الإمام الخمينيّ، وهي من المعالِم الأساس في شخصيّة أتباع الإمام ونهجِهِ.
2. مِنْ مآثر الإمام الخمينيّ إثباتُهُ لقيمة الإخلاص، كقيمة فعّالة على مستوى الحَراك الثوريّ والجهاديّ والاجتماعيّ.
3. إنّ مواجهة الاستكبار في جميع الأزمنة كان يستدعي وجود قيادة وجماهير مُخلصة لله تعالى، ومتى ما أُصيبت جبهة الحقّ في تعلُّقها بالله تعالى وإخلاصها له، انتكَس سَيْرها وابتُلِيَت بالهزائم.
4. كان الإمام الخمينيّ يوصي أتباعه بالإخلاص، ويؤكِّد على دور العبادة في تقويته، وضرورة عدم السّعي وراء الغايات الشّخصيّة.
5. العبادة في حياة الإمام الخمينيّ قدس سره هي معرفةٌ وسلوكٌ وعمل. كان الإمام من عباد الله الدّاعين إليه في السَّراء والضرّاء، وله مع الدُّعاء حالاتٌ وأسرار، وإنّ سيرَتهُ وسلوكَهُ الّذي شهِدَت عليه الأُمّة، كانا مجبولَيْن بحالة معنويّة رفيعةٍ، للدُّعاء فيها المَنزِلَة العُظمى.
6. إنّ ارتباط الشُّهداء بالإمام الخمينيّ، وارتباطَهُ بهم، أمرٌ له وقعُه الخاصّ عند السّائرين على نهج الإمام، وقد كان الإمام يوصي دومًا بضرورة الاستفادة من وصاياهم الشّريفة.
7. العزّة من مظاهر نهج الإمام الخمينيّ، وهي عبارة عن البُنية الدّاخليّة المتينة لأيّ فردٍ أو أيّ مجتمع، حيث تهَبُه الاقتدار في مواجهة العدوّ والعقبات، وتجعله يتغلّب على التّحدّيات.

الدّرس الثّامن

الإمام الخمينيّ
مَظهر للمعنويّة

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يشرح نظرةَ الإمام الخامنئيّ دام ظله في الأخلاق الثوريّة.
2. يُبيّن سرّ الجّاذبيّة المعنويّة للإمام الخمينيّ قدس سره.
3. يَتعرَّف إلى أبعاد الزُّهد في شخصيّة الإمام الخمينيّ قدس سره.

ضرورة الالتزام بمبادئ الأخلاق الإسلاميّة

إنّ قيامةَ الجّمهوريّة الإسلاميّة مبنيّةٌ على قاعدة ولاية الفقيه، وعلى أُسُس المعنويّة والعقلانيّة، جعل مِنَ الطّرح الدّينيّ، وكذلك من الطّرح الأخلاقيّ والمعنويّ، على قَدَرٍ عالٍ من الفاعليّة والواقعيّة. ولذلك، فإنّ الأخلاق الفعّالة بهذا اللّبوس الجديد ستكون بمثابة تيّار جديد يجرف ذلك التّديُّن المتحجِّر والأخلاق الّتي لا يهمُّها سيادة العدالة الاجتماعيّة والحياة المعنويّة في المجتمع.

يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «كما ينبغي عدم الخَلْط بين المعنويّات والأخلاق الّتي جعلتها الجمهوريّة الإسلاميّة من مبادئها، وبين حالات التديُّن المُتحجِّر الجامد والخالي من المنطق، الّذي يسود الكثير من المجتمعات، وهو تديُّن قِشريّ يطفو على الّلسان فقط، ويشوبُهُ الجُّمود وعدم تلمّس طريق السّعادة للمجتمع والإنسان. فقَيْدُ «الإسلاميّة» هذا الّذي يأتي بعد العدالة والحرّيّة والمعنويّات ثرّ في مغزاه، ولا بدّ من العناية به»[1].

وكان للإمام الخمينيّ قدس سره ذلك الأَثر الضّخم في قيام هذا النّوع الفعّال من الأخلاق؛ وذلك من خلال تهيئته الأجواءَ العمليّة والتّربويّة لأجيال متابِعة من الشّباب والكوادر، وتربيتهم على هذا النّمط من الأخلاق والمعنويّات: «هذه المبادئ انبرى الإمام لبيانِها أمام الجّماهير والواعين قبل انتصار الثّورة، وعلى أساسها أَرسى الجمهوريّة الإسلاميّة بعد انتصار الثّورة، وظلّ متمسِّكًا بهذه المبادئ، وجاهد من أجلها مادام على قَيْد الحياة. ولهذا، فقد استطاعت الجمهوريّة الإسلاميّة، كظاهرة عصريّة فريدة، إحياءَ الآمال في قلوب المسلمين،

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّنويّة الثّالثة عشرة لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2002/6/4م.

حيث أدرك الجميع في أرجاء العالَم الإسلاميّ وخارجه، أنّها ليست نَسخة تقليديّة لِما سمعوا من شعارات»[1].

وعليه، لا يمكن تحصيل هذه الحالة من الرّوحانيّة العالية وشُيوع جوّ المعنويّة في المجتمع، إلّا إذا جرت مُراعاة الأخلاق الإسلاميّة. هذا أصلٌ من أصول الحياة المعنويّة في نظر الإمام الخمينيّ قدس سره، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «وكان - أي الإمام الخمينيّ - من الّذين يراعون الأخلاق ويوجِّه الآخرين نحو الأخلاق، فقسمٌ مهمّ من الرّوحانيّة في الإسلام عبارة عن الأخلاق واجتناب المعاصي، والبُعد عن الطّعن وسوء الظنّ والغيبة، وسوء السّريرة والفِرقة. كان الإمام الجليل نفسه يُراعي هذه الأشياء ويُوصي النّاس بها، وكذلك المسؤولين. لطالما أوصانا الإمام بأنْ لا نغترّ بأنفسنا وأن لا نُعِدَّها أعلى من النّاس، وأن لا نتعالى عن الانتقاد ونغفل عن العُيوب»[2].

أصل الأخلاق في العمل الثوريّ

كان مسير الإمام الخمينيّ قبل الثورة وأثناءها وبعدها، يَشهَد على الكفاءة الأخلاقيّة العالية لمنهَجِه، وعلى انقياد جمهور الشّباب المؤمن، بل كافّة أطياف الشّعب الثّائر في تطبيق هذه المبادئ الأخلاقيّة العالية، فالأخلاق مندكّة اندكاكًا عضويًّا بثوريّة حركة الإمام الخمينيّ وخطّه، والأمثلة على ذلك لا تُعدّ. وكذلك، فإنّ ديمومة الثّورة مَنوطَةٌ ببقاء هذه القِيَم الأخلاقيّة واستمرارها، كما أسّس لها الإمام الخمينيّ -رضوان الله عليه-.

1. **العدالة هدف الفعل الأخلاقيّ:** يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله حول هذه النّقطة: «لو دُسنا على الأخلاق تحت عنوان السّير نحو العدالة وباسم الثوريّة، فإنّنا نكون قد أضرَرنا وانحرفنا عن نهج الإمام. ولو قُمنا تحت عنوان الثوريّة وباسم تحقيق العدالة بإهانة إخواننا وشعبنا المؤمن، وأولئك الّذين يُخالفونَنا من النّاحية الفكريّة، ولكنّنا

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّنويّة الثالثة عشرة لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2002/6/4م.
(2) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، في الذّكرى 22 لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2011/6/4م.

نعلم أنّهم مؤمنون بأصْل النّظام والإسلام، وقُمنا بأذيَّتهم وتعذيبهم، نكون قد انحرفنا عن نهج الإمام»[1].

2. **إيجاد الأمن في المجتمع غايةُ الأخلاق:** فالأخلاق الّتي تجعل حدود المجتمع مفتوحًا على احتمالات الخطر، هي أخلاق غير مسؤولة وغير ثوريّة، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «لو أردنا تحت عنوان الثوريّة والسّلوك الثوريّ سَلْب الأمن من بعض النّاس في المجتمع والبلد، نكون قد انحرفنا عن نهج الإمام»[2].

3. **احترام الاختلافات من الأخلاق الثوريّة:** لا يمكن بحالٍ من الأحوال، أن يصبح لون المجتمع لونًا واحدًا في كلّ شيء، بدءًا من الأفكار، ووصولًا إلى المناهج والأساليب، وكذلك الأفعال، فالاختلافُ بين النّاس هو أمرٌ لا يمكن الفرار منه، بل يجب التّعايش معه بأخلاقٍ عالية، يشرح الإمام الخامنئيّ دام ظله ذلك، فيقول: «العمل الثوريّ ينبغي أن يتحلّى بقيمة التّقبُّل، ففي هذا البلد توجد آراء وعقائد مختلفة، فلو انطبق عنوان الإجرام على حركة ما أو كلام ما، فمثل هذا العنوان الإجراميّ قابلٌ للمعاقبة، وعلى الأجهزة أن تتعقّبه، ولكن عندما لا ينطبق عليه هذا العنوان الإجراميّ، وإنّما يخالف أسلوبنا السّياسيّ ونهجَنا ومذاقَنا، من دون أن يكون بصدد الإطاحة والخيانة وتطبيق أوامر العدوّ في البلد، فلا يُمكننا أن نحرمه الأمن والعدالة، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾[3]. فالقرآن يأمرنا قائلاً: لا ينبغي أن تكون مخالفتكم لقوم ما سببًا للدَّوس على العدالة وتناسيها، ﴿ٱعْدِلُوا۟﴾، أجروا العدالة حتّى بما يتعلّق بمن يخالفكم، ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾، إيّاكم أن تتصوّروا أنّ التّقوى تعني أن نَسحق من يُخالفنا! كلّا، فإنّ إجراء العدالة يتوافق مع التّقوى. فعلينا جميعًا أنْ نكون حذِرين وواعين. فمثل هذا البُعد لا ينبغي أن يَطغى على الأبعاد الأخرى»[4].

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، في الذّكرى 22 لرحيل الإمام الخميني قدس سره 2011/6/4.
(2) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، انعقاد المجمع السّنويّ لقادة ومسؤولي حرس الثّورة الإسلاميّة 14 جمادى الأولى 1418 هـ.
(3) سورة المائدة، الآية 8.
(4) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، انعقاد المجمع السّنويّ لقادة ومسؤولي حرس الثّورة الإسلاميّة 14 جمادى الأولى 1418 هـ.

الجاذبيّة المعنويّة للإمام الخمينيّ قدس سره

من المهمّ أن تلتفت الأجيال الجديدة من الشّباب إلى أنّ أحد المبادئ الأساسيّة في حياة الإمام الخمينيّ قدس سره هو أنّ الإمام ما دعا إلى أمرٍ إلّا وقام بنفسه بإجرائِه عمليًّا. وفي الجانب المعنويّ والأخلاقيّ، فإنّ الإمام الخمينيّ قدس سره كان سبّاقًا إلى الدّعوة إلى الأخلاق والرّوحانية والمعنويّة، وكان بنفسه عالِمًا عارفًا عاملًا بذلك، وهذا ما دفع بالشّباب إلى الإقبال إليه.

يَسرد الإمام الخامنئيّ دام ظله شيئًا من ذكرياته حول تلك الأيّام الّتي تعرّف فيها بالإمام الخمينيّ قدس سره، فيقول: «أبدأ بحديثي منذ عام 1337[هـ ش] 1959م، وهي السّنة الّتي ذهبتُ فيها إلى قمّ، ورأيتُ الإمام الخمينيّ هنالك عن قرب للمرّة الأولى، وكنّا من قبل ذلك قد سمعنا ونحن في مشهد عن وجود أستاذ كبير في قمّ يُحبّ الشّباب، ومن الطّبيعيّ أنّ طالب العلوم الدّينيّة حينما يَرِدُ إلى قمّ يبدأ بالبحث عن أستاذٍ يدرس على يَدِه؛ ففي الحوزات العلميّة ليس ثمّة إلزام في اختيارِ الأستاذ، وإنّما يختار كلّ طالب الأستاذ الّذي يرغب فيه، وفقًا لِمَرامِه.

وكان الأستاذ الّذي يجتذب إليه الطّلبة الشّباب المُتعطِّشين منذ الوهلة الأولى هو الشّخص الّذي كان معروفًا بين تلاميذه في تلك الأيّام باسم «السّيد روح الله». وكان الشّباب الأفاضل المُثابرين المتحمِّسين مجتَمِعين في حلقةِ درسِه، وفي مثل هذا الجوّ كان دخولنا قمّ»[1].

القيادة والزُّهد والعِرفان من تجلّيات نظام التّربية الإسلاميّة

تَظهر في شخصيّة الإمام الخمينيّ قدس سره، عددٌ من الصّفات المعنويّة الشخصيّة الّتي تكاملت في ذاته على مدى سنواتٍ طويلة وإلى زمن انتصار الثّورة. ولكن، من هذه الصّفات ما تجلّى أكثر في زمن انتصار الثّورة، بحيث يدعو الإمام الخامنئيّ دام ظله إلى اتّخاذها وشخصيّةَ الإمام الخمينيّ نموذجًا للتّربية الإسلاميّة والأخلاقيّة والمعنويّة من قِبَل الشّباب.

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّنويّة العاشرة لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 1999/6/4م.

يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «أمّا ما تجلّى من أبعادِ شخصيّته من بعد تأسيس الحكومة الإسلاميّة، فكان أهمّ وأعظم ممّا شوهد منها من ذي قبل، حيث انعكَست شخصيّته الفذَّة على أُفقين:

الأوّل: أُفق القائد والمُتصدِّي لزِمام الأمور.

والثّاني: أُفق الزّاهد والعارف؛ لأنّ مَزْج هاتين الصّفتين، بعضهما مع بعض، عملٌ لا يتسنّى للإنسان مشاهدته، إلاّ لدى الأنبياء مثل داوود وسُليمان عليهما السلام، ومِثل خاتَمِ الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم.

هكذا تكون التّربية الإسلاميّة والقرآنيّة، وإلى مثل هذا دعا الإمام الجميع، وأراد نظامًا إسلاميًّا لتربية أُناس من هذا القَبيل، مثلما كان هو مظهرًا بارزًا له».

الإمام الخميني مظهرٌ للمَعنويّة الحقيقيَّة

بعد هذا التّوصيف التّأصيليّ الّذي مرَّ في هذا الدّرس والدّرس الفائت للأُسس الّتي ينظِّر لها الإمام الخامنئيّ دام ظله فيما يخصُّ البُعْد المعنويّ والأخلاقيّ للإمام الخمينيّ، فإنَّ التوصيف الّذي يصفه به هو أيضًا يُعبِّر عن هذه الرّؤية، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله:

«كان إمامُنا العظيم مَظهرًا لقِيَم الثّورة. لقد سُئلت إحدى نساء النّبيّ الأكرم أن تصِفَه، فقالت: «كان خلقُهُ القرآن»؛ أي إنّه كان قرآنًا مُجسَّمًا. وحريٌّ بنا القول اليوم بشأن إمامنا العظيم: إنّه كان إسلامًا ثوريًّا مجسّمًا، إسلامًا أصيلًا مجسّمًا في حياته وأخلاقه ومشاعره وقراراته، وكذا في فنائِه في الله؛ فكان أن جازاه الله بأنّ ما تحقّق على يديه في هذا العصر قلَّ نظيرُه، فلم يقُم بمِثل هذه الحركة العملاقة أحدٌ بعد الأنبياء من أُولي العَزْم»[1].

ويمـرّ على صـورة مُجملةٍ من هذا التّكامل المعنويّ الّـذي كان يعيشه الإمام الخمينيّ قدس سره، فيقول: «إنّ شخصًا مثل إمامنا الرّاحل العظيم قدس سره، الّذي ورَدَ الميدان وحيدًا، واستطاع بفضل العَزْمِ والإرادة الرّاسِخَيْن، والإيمان والتّوكّل، أن يُعبّئ عمومَ أفراد الشّعب، وأن يُطلق هذه الحركة العظيمة، كان مُستندًا قبل أيّ شيء إلى ذلك الغَليان

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السنوية الأولى لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 1990/6/4.

القلبيّ، والمعنويّ، والرّوحيّ، والتّوكّل، والمعرفة، والعبادة. كان هذا العظيم إلى آخر عمره، على الرُّغم من الشّيخوخة والضّعف، والهرم، يقوم في منتصف اللّيل، يذْرف الدُّموع. نحن نعلم من أقربائه الّذين كانوا مطّلعين على جميع تفاصيل حياته، وسمعنا، وأُخبرنا أنّه كان يقوم في منتصف اللّيالي، ويَستمدُّ العوْنَ من الله ـ «رهبان اللّيل» ـ هذه حالتُه في اللّيل، فيما كان نهارًا كأَسدٍ مُزَمجِرٍ في السّاحات، يَهزِمُ القِوى، يُزيلُ ضَعْف الشّعب، يقوّي إراداتنا جميعًا، نحن الشّعب، ويسيِّرها، ببركة ذلك الرّصيد المعنويّ»[1].

أبرز الصّفات المعنويّة للإمام الخميني قدس سره

1. العمل بالتّكليف:

إحدى الصّفات الّتي ثبّتها الإمام الخمينيّ بعمَلِه وطبَّقها في حياته، وكان لها الأَثَر البالغ في تربية الأُمّة على السَّير الى الله تعالى في كلّ الأحوال، تحت شعار «العمل بالتّكليف». فالأمر الأهمّ هو أن يقوم الإنسان بتكليفه الشّرعيّ، أمّا الوصول إلى نتيجة أو عدم ذلك فهذا شأْنٌ إلهيّ، وكذلك أن يعتبر نفسَهُ مؤدِّيًا للتّكليف الإلهيّ، وليس صاحب مِنَّةٍ على أحد لقيامه بهذا التّكليف.

ويؤْمن الإمام الخامنئيّ دام ظله بأنّ خِصِّيصة أداء التّكليف هي الّتي ستضمن استمراريّة الثّورة كما ضَمِنت لها انطلاقتها: «إنَّ من يعتقد بالله ويعمل له سبحانه وتعالى، يقول إنّنا نعمل بالتّكليف فقط؛ فإِنْ قُتلنا كُنّا منتصرين، وإِنْ انسحبنا في الحرب كنّا منتصرين أيضًا، لأنّنا عَمِلنا بالتّكليف، وأدّينا ما وَجَب علينا. هذه هي عقيدة الإنسان المؤمن، ولقد كان إمامنا العظيم الّذي كان على رأس هذه الثّورة رمزًا لهذه العقيدة. لهذا، فإنّه لم يتردّد لحظةً واحدة في الحرب وفي الكفاح السّياسيّ والاقتصاديّ، ولم يدَعْ الّذين لهم دور في المسيرات العامّة للشّعب أن يتردّدوا. لقد كان الطّريق واضحًا، فاستمرّ في الطريق بكلِّ حَزْم»[2].

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، لقاءشرائح مختلفة من محافظات مازندران، كيلان، كلستان وكهكيلويه وبوير أحمد 2013/5/15م.

(2) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، لقاء اهالي قم 11 رجب 1416هـ.

إنَّ حقيقةَ الامتثال للتّكليف الإلهيّ في نهج الإمام الخمينيّ قدس سره تعني أنَّ الإنسان بين الانتصار لنفسه والانتصار لله تعالى، فإنَّه ينتصرُ لله، «إنَّ معنى نُصرة الله تعالى - في الحقيقة - هي أن نخطو خطوة لإحياء السُّنّة الإلهيّة، والتّأثير في الكون والمجتمع، وفي إيقاظ الفطرة، والسّعي من أجل نجاة الإنسان من التّعاسة والشّقاء، هذه هي نُصرَتُنا للإسلام. إنَّ الإمام وظّف هذه الحقيقة القرآنيّة، ونصرَ الله، ونهضَ وأقدَم على نجاةِ وحريّة شعبِه، وقد نصرَهُ الله تعالى أيضًا وبارك في نهضتِه، فعوّضه بدلَ الخطوة مئات الخطوات».

2. التّوكُّل على الله:

التّوكُّل على الله لا يعني بالضّرورة تحصيل النّصر أو النّجاح في المُهمَّات الّتي يقوم بها الإنسان، بل التّوكُّل على الله يعني أن يَضَع الإنسان تمامَ إمكانيّاته في يَدِ الله تعالى، ومن ثمّ يقوم بأداءِ ما عليه، والله سبحانه هو الّذي يقدّر الأمور. يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله في شرح هذه النُّقطة من خلال حياة الإمام الخمينيّ قدس سره: «لقد قام بكلِّ هذه الأعمال الكبرى، لأنّه كان متوكِّلاً على الله، مؤمنًا بأنّ الله على كلِّ شيء قدير، وبالطّبع كان يؤمن بأنّ نجاحه ليس هو الهدف ولا الغاية، كان يقول: «إنّني أؤدّي واجبي»، وكان انتصاره بمجرّد قيامه بالواجب. في رأي الإمام لا يعني النّصر تحقيق هدفٍ ما، فالنَّصر في رأيه أن يقوم الإنسان بواجبه، بهذه الرّوحيّة وهذه المشاعر وهذه البواعث كان الإمام يَمضي قُدُمًا في طريقه»[1].

إنّ التّوكُّل على الله تعالى هو عنوان من العناوين المعنويّة لنهج الإمام، والّتي تمتدّ عميقًا في الرّؤية العقائديّة الّتي أسَّس لها الإمام، يشرح ذلك الإمام الخامنئيّ دام ظله، فيقول: «يعود نجاحه - أي الإمام الخمينيّ - إلى توكُّلِه على الله وحُسن ظنِّه به. ومن هنا، فإنّ كلّ عمل لا يخرج في رأيه عن قدرة الله، فالأعمال الكبرى والحركات العُظمى واقتلاع الجّبال الرّاسيات كان برأيه أمرًا ممكنًا؛ ذلك أنّه يعتقد بقدرة الله المُطلقة، كان يتوكَّل على الله وحدَه، مُستمِدًّا العَوْن منه ويُحسِنُ الظنّ به».

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، صلاة الجمعة في طهران ومناسبة مضي أربعين يوماً على رحيل الامام الخميني قدس سره 1989/7/14م.

3. الزهد بالدنيا:

سيرة الإمام الخمينيّ قدس سره طافحةٌ بمشاهدِ الزُّهد والنُّسْكِ واعتزال الملذّات، وكان في ذلك قدوةً للنّاس في زمنِه: «لم يكن الإمامُ يريدُ شيئًا لذاته، حتّى إنّه لم يشترِ أثناء وجوده على رأس السّلطة حتى دارًا لنجله الوحيد المرحوم الحاج السّيد أحمد، الّذي كان أعزَّ إنسانٍ إلى قلبه، وهذا ما سمعناه منه مرّاتٍ عديدة، حيث أكّد أنّ أعزَّ النّاس بالنّسبة له هو السّيد أحمد. وقد ذهبنا مرّات عديدة، ورأينا أعزّ إنسان على قلب الإمام يعيش في غرفتين أو ثلاث في الحديقة الواقعة خلف الحُسينيّة الّتي كان فيها بيت الإمام»[1].

إنّ نظرة الإمام الخمينيّ قدس سره إلى الدّنيا، هي ذاتها النّظرة الّتي أَسّس لها الرّسول الأعظم والأئمّة الأطهار، باعتبارها معبَرًا ووسيلة لإدراك الآخرة ونَيْل القُرب من الله تعالى. وبالتّالي، فإنّ تعلُّق الإنسان بها إلى درجة امتلاكها له وتشكيلها لِعَقبة كؤود له أمام أهدافه الإلهيّة، هو الّذي يجعل الدنيا قبيحةً في نَظَرِه. يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «هذا الإنسان نفسه حينما ينظر إليه المرء في إطار حياته الخاصّة، يراه شخصًا زاهدًا عارفًا منقطعًا عن الدُّنيا»[2].

ويشرح الإمـام الخامنئيّ دام ظله ماهيّة الدّنيا المذمومة والقبيحة في نظر الإمام الخمينيّ قدس سره: «المُراد طبعًا من الدُّنيا هي الدّنيا الذّميمة، الّتي وصفها بقوله: إنّ الدُّنيا القبيحة هي ما في ذات الإنسان، وإلّا فإنّ ظواهر الطّبيعة من أرضٍ وأشجارٍ وسماءٍ واختراعاتٍ وما شابَهَ ذلك هي ليست قبيحة، وإنّما هي نِعَمٌ إلهيّة يجب الاهتمام بها. والدّنيا القبيحة هي المشاعر الأنانيّة، والطّمع والأهواء الموجودة في ذات الإنسان، وهذه هي الدّنيا الّتي كان الإمام مُنقطعاً عنها كلّيًا»[3].

4. الرأفة والرحمة:

لقد حاول الإعلام العالميّ في حياة الإمام، وبعد وفاته، أن يشوّه صورتَهُ، عبر الكتب والمقالات، حتّى الرّسوم والصّور، وإخراج الإمام إلى النّاس بصورة القائد السّياسيّ القاسي

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّنويّة العاشرة لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 1999/6/4م.
(2) المصدر نفسه.
(3) المصدر نفسه.

الّذي يمارِس البطش والقوّة والتسلُّط ولا يوجد لديه رأفة بالنّاس، ولكنّ أبناء هذا الخطّ العظيم يحفظون للإمام مشاهد كثيرة من رأفتِه وحنانِه، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله في ذلك: «كان الإمام الخمينيّ من أهل الخُلوة وأهل العبادة والتضرُّع والدُّعاء والبكاء في منتصف اللّيل، وكان من أهل الشِّعر والقِيَم والمعاني الرّوحيّة والعرفان والتعلُّق بالله. هذا الشّخص الّذي بثّ الرُّعب في أوصال أعداء الشّعب الإيرانيّ، وهذا السدّ المنيع والجبل الشّامخ، حينما تُعرَض له مواقف عاطفيّة وإنسانيّة تراه إنسانًا رقيقًا ورؤوفًا، وسبق لي أن نقلت موقفًا عُرِض لي في إحدى جولاتي، وهو. أنّ امرأة تقدّمت إليّ، وقالت: أبلِغْ الإمام نيابة عنّي أنّ ابني أُسر في الحرب، وقد وصلني في الآونة الأخيرة خبرُ مقتلِه، إلاّ أنّ مقتل ابني ليس مهمًّا عندي، وإنّما المهمُّ هو سلامتكم.

لقد تحدّثت إليّ تلك المرأة بمشاعر جيّاشة، وعندما جئت إلى الإمام ودخلت عليه، وجدته واقفًا، ونقلت له ذلك الموقف، فرأيت ذلك الجبل الرّاسخ انحنى بغتةً كشجرةٍ باسقةٍ هوَتْ بها الرّيح، وغاصَ مُستغرقًا في ذاته، متأثّرًا روحيًّا وجسديًّا بما نقلتُهُ له من كلام أمّ الشّهيد، واغرورقت عيناه بالدُّموع»[1].

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّنويّة العاشرة لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 1999/6/4م.

المفاهيم الرّئيسة:

1. إنّ نظريّة ولاية الفقيه وقيام الثّورة بناءً عليها، جعل من الطّرح الأخلاقيّ فيها طرحًا مُتماهيًا مع حقيقة ولاية الفقيه وفاعليّة الثّورة.
2. يهدف الفعل الأخلاقيّ في المجتمع إلى إيجاد العدالة والحثّ على الوصول إليها بين أفراده؛ فالأخلاق الّتي تعترض سبيل العدالة هي أخلاق غير ثوريّة.
3. إيجاد الأمن في المجتمع غاية الأخلاق الثوريّة؛ وهذا يعني أنّ أيّ سلوك ثوريّ يعارض مبدأ نشر الأمن، هو سلوك غير أخلاقيّ.
4. احترام الاختلافات الفكريّة والسياسيّة بين أفراد المجتمع يُعدُّ من الأخلاق الثوريّة الّتي أكّدها الإمام الخمينيّ قدس سره.
5. لا يمكن تحصيل حالة من الرّوحانيّة العالية وشيوع جوّ المعنويّة في المجتمع، إلّا إذا جرت مراعاة الأخلاق الإسلاميّة.
6. من أسرار الجاذبيّة المعنويّة للإمام الخمينيّ قدس سره أنّ الإمام ما دعا إلى أمرٍ إلّا وقام بنفسِه بإجرائه عمليًّا. وفي الجانب المعنويّ والأخلاقيّ فإنّ الإمام الخمينيّ قدس سره كان سبّاقًا إلى الدّعوة إلى الأخلاق والرّوحانيّة والمعنويّة.
7. الإمام الخمينيّ مَظهرٌ للمعنويّة الحقيقيّة، وقد جسَّدها في فكرِه، وكتبِه، ودروسِه، وفي ممارسته في الحياة اليوميّة الفرديّة، وبين النّاس.
8. العمل بالتّكليف هو إحدى الصّفات الّتي ثبّتها الإمام الخمينيّ بعمله، وطبّقها في حياته، وكان لها الأثر البالغ في تربية الأُمّة على السّير الى الله تعالى في كلّ الأحوال، فالمهمّ هو القيام بالتّكليف تحت كلّ ظرف.
9. لا بدّ في مدرسة الإمام من أداء التّكليف؛ لأنّ ذلك يعني استمرارًا للثّورة، وأنّ نفس القيام بالتّكليف هو نصرٌ حقيقيّ، بصرف النّظر عن الوصول إلى نتائج أو عدم ذلك. وكذلك، فإنّ أداء التّكليف هو سبب لنزول العَوْن الإلهيّ.
10. ينظر الإمام الخمينيّ قدس سره إلى الدّنيا باعتبارها معبرًا ووسيلة لإدراك الآخرة ونَيْل القُرْب من الله تعالى. وبالتّالي، فإنّ تعلُّق الإنسان بها إلى درجة امتلاكها له وتشكيلها لِعَقبةٍ كؤود له أمام أهدافه الإلهيّة، هو الّذي يجعل الدّنيا قبيحةً في نظره.

الدّرس التّاسع

أَصْل «العقلانيّة» في نَهْج الإمام قُدِّسَ سِرُّهُ

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يُحلّل أهمّيّة حضور العقلانيّة في نهج الإمام.
2. يَربط بين أَصْل العقلانيّة وباقي أُصول نهج الإمام.
3. يَشرح حضور أَصل العقلانيّة بين أتْباع نهج الإمام.

إنَّ فكر الإمام قائمٌ على أساس القرآن والسُّنَّة الشّريفة؛ ولذلك نرى أنّ فكر الإمام كان مُرتكِزًا على العقلانيّة والعلم، ورفضِه للهيمنة والخضوع والاتّكال على الدّول الأخرى، فأصبح المجتمع الايرانيّ في ضوء أفكار الإمام قدس سره فى أعلى المستويات، على الصُّعد الاقتصاديّة والسياسيّة والعسكريّة والطبيّة والصناعيّة كافّة. فإضافةً إلى اهتمام الإمام بقيادة الثّورة وبناء الدولة على البُعْد الرّوحانيّ الّذي يَظهر جليًّا في المباني والأصول الّتي ركّزها في نظام الجمهوريّة الإسلاميّة والدُّستور، ركّز الإمام على بُعْدين آخرَين هما العقلانيّة والعدالة. وفيما يلي نذكر أهمّ سمات ومميّزات العقلانيّة في فكر الإمام الخمينيّ قدس سره.

عدم التّعارُض مع المباني والأُصول

على الرُّغم من أنَّ كثيرًا من الثّورات تنادي بالعقلانيّة، إلّا أنّ العقلانيّة في فِكْر الامام لم تكن لتتعارض مع المبادئ والأصول والإيمانيّة، بل هي مَظهر لها، وإلّا لفقدت الثّورة كلّ قِيَمها ومعانيها. لذلك، كان الإمام يؤكّد لكلّ المسؤولين عدم التّنازل عن مبادئ الثّورة لمصلحة العقلانيّة أو لمصلحة شيء آخر: «فلا نعمد إلى التّخلّي عن الأصول؛ لأنّنا واجهنا مشاكل أثناء السّعي نحو تلك الأهداف، وأن لا نُبتلى بحالة القناعة بالحدّ الأدنى»[1].

العقلانيّة درب الوصول إلى الأهداف

كان التّحدّي في الجمهوريّة الإسلاميّة في كيفيّة الوصول وتحقيق أهداف الثّورة من دون التّخلّي عن المباني والأصول، بل مراعاة كلّ الجوانب في آنْ، وهو ما يميّز هذه الثّورة عن غيرها، وهو تحدٍّ كبير، وهو تحدٍّ يحتاج إلى بذل الجّهد في عقلَنة الثّورة وتحكيم العقل

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، لقاء مجلس خبراء القيادة 2011/9/8م.

في مسارها وانتخابها الطّرق الأمثل للوصول إلى الأهداف المعنويّة والمادّيّة، مع تمتُّعها بالأصالة المُحمديّة الإسلاميّة: «فالمطلوب أن نسلك نحو الهدفين بشكلٍ متوازٍ ونعلم أنّهما ينسجمان معًا، أيْ حفظ أصول ومباني النّظام، وفي الواقع الحفاظ على هويّة النّظام من جانبٍ، ومن جانبٍ آخر تحصيل تلك الأهداف الّتي حدَّدها النّظام، سواءٌ الأهداف المادّيّة والتّطوّرات المادّيّة والعلميّة والمعيشيّة والمدنيّة وأمثالها، أم الأهداف المعنويّة، كاستحكام العدالة وأمثالها. يجب أن نعلم أنّها منسجمة، بعضها مع بعض. ونحن لا يمكننا أن نَصِل إلى تلك الأهداف إلّا إذا تمسّكنا بهذه الأصول»[1].

العقلانيّة في خدمة الأصول

على هذا الأساس، وضعت الجمهوريّة نُصْب عينيها السّعي نحو التّطوّر على الصُّعد كافّة، على قاعدة أنّه يمكن الحفاظ على الأصول ويمكن الوصول إلى التّطوّر، فوصلت الجمهوريّة الإسلاميّة اليوم من حيث التقدّم العلميّ والتطوّر التقنيّ، وبلِحاظ الوعي والنُّضج السّياسيّ، وبلِحاظ كشف الطرائق والتّصنيفات المتعدِّدة في المؤسّسات المختلفة، المؤسّسات الاقتصاديّة وغيرها، لا يمكن مقارنته بما كان عليه مع بدايات الثّورة، من دون ترك الأصول: «فلا ينبغي التّساهل بشأن الأصول أبدًا. كذلك، ينبغي أن نعلم أنّ النّصر الإلهيّ مرتبطٌ بهذا الأمر، وهو أن نحافظ على هذه الأصول والمباني... على القيادة أَنْ تضع العقلانيّة في خدمة الأصول وفي اتّخاذ القرار والعمل، وأَنْ تضع الواقعيّة في خدمة التوجُّهات نحو المُثل العليا»[2].

الهويّة الثّقافيّة من مظاهر عقلانيّة خطّ الإمام

إنّ المحافظة على الهويّة الثّقافيّة هو سرّ نجاح الثّورة؛ لأنّ هدف دول الغرب القضاء على الهويّة الثّقافية للشّعوب، لكي تلجأ إلى الدّول المُستكبِرة وتخضع لها، وعندما يُقضَى على الهويّة الثّقافيّة للبلد تتحوّل الدّولة الى مُستعمَرة للدّول الغربيّة، قائمة على استهلاك البضائع والخضوع الكامل لها. ولو لم تكن مثل هذه الهويّة الثّقافيّة لَما وُجد إمامٌ كالإمام الخمينيّ، الّذي استطاع أن يوجد هذه النّهضة والثّورة ويقودها نحو الانتصار: «فإمامنا

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، لقاء مجلس خبراء القيادة 2011/9/8م.
(2) المصدر نفسه.

الجليل هو ابن هذه الثّقافة ووليدها. فهذه الهويّة الثّقافيّة هي الّتي ربّت إنسانًا كالإمام في المجتمع، ويجب الحفاظ عليها»[1]. هذه الهويّة الّتي تشكّل العقلانيّة المعنويّة للشّعب، كالأخلاق الإسلاميّة السّامية، والحكمة المعنويّة والإلهيّة والإسلاميّة، والتّوحيد والإيمان بالله، والعدل والصّدق، يجب المحافظة عليها، ونقلها إلى الأجيال عبر الأدب والشِّعر والتّربية؛ لأنّها السّبيل الأمثل لحفظ الهوية والوقوف أمام الغزو الثّقافي الأجنبي: «وهذه الهويّة هي في الواقع تلك العقلانيّة المعنويّة الّتي نعتمد عليها ـ قضيّة العقلانيّة المعنويّة والعقل الجمعيّ لهذا المجتمع- إنّ هذه الهويّة الثّقافيّة هي في الواقع تلك العقلانيّة، ويجب عليكم أن تلتفتوا إليها في أشعاركم وتحافظوا عليها»[2].

عداء الاستكبار من مظاهر العقلانيّة

إنّ وقوف القوى المُستكبِرة بقدراتها المادّيّة، وبالإرهاب الّذي تمارسه، وبالهَيْبة الّتي تُظهرها، محاوِلةً إخضاع الآخرين لها، استدعى أن تقوم الجمهوريّة الإسلاميّة اليوم لتصرُخ، وبصوتٍ عالٍ ومن دونِ خوفٍ من العدوِّ ومن تهديده، بوجه الظّلم ونظام الهيمنة والاستثمار والاستعمار، وهذا ما أدّى إلى تأثُّر كثيرٍ من النّاس، ولا سيّما المسلمين، بمواقف الجمهوريّة الإسلاميّة، حتّى أضحى شعار الموت لأمريكا شعار الشّعوب المُستضعفة المظلومة: «واعلموا أنّ شعاركم هذا «الموت لأمريكا»... يرتكز على ركيزة ودعامة منطقيّة وعقلانيّة رصينة، ومن الواضح أنّه ليس المُراد من «الموت لأمريكا» الموت للشّعب الأمريكيّ، فإنّ الشعب الأمريكيّ حالُهُ حال سائر الشُّعوب، وإنّما يعني الموت للسّياسات الأمريكيّة والموت للاستكبار، هذا معناه، وهو يستند إلى مستند وخلفيّة عقلانيّة»[3]. فكلّ من يعتمد العقلانيّة، إذا فَهِم الشِّعار سوف يقبله لكي يحلّ «إسلام التّعبُّد والتّعقُّل محلّ الإسلام الهَجين والجّاهل»[4].

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، لقاء بمناسبة مولد الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) 2014/7/12م.
(2) المصدر نفسه.
(3) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، لقاء بمناسبة اليوم الوطنيّ لمقارعة الاستكبار العالميّ 2015/11/3م.
(4) المصدر نفسه.

أَصالة العدالة الاجتماعيّة

كان بُعد العدالة في مدرسة الإمام بارزًا جدًّا. هذا، وإن كانت العدالة بأحد معانيها تنبع من العقلانيّة والروحانيّة، لكنّ عظمة هذا البُعد في شخصيّة الإمام الجليل أبرَزَتْهُ لنا بصورةٍ متفرِّدة. فمنذ بداية انتصار الثّورة كان الإمام يُصرُّ على الاعتماد على الشّرائح المُستضعفة، فيُكرّر هذا ويُوصي به، فعِبارة «الحُفاة وسكّان الأكواخ» هي من العبارات الّتي تكرّرت كثيرًا في كلمات الإمام. وكان يُصرّ على المسؤولين أن يُدركوا الطّبقات المحرومة، ويُصرّ على المسؤولين أن يجتنبوا حياة الأثرياء المُتْرَفين: «إنّ آفة المسؤوليّة في أيّ نظامٍ يعتمد على آراء النّاس وإيمان الشّعب، هي أن يتحوّل المسؤولون إلى التّفكير برفاهيّتهم الخاصّة، والبحث عن الثّروة وتجميع المال وهَوَس حياة النُّبلاء والأشراف وطرق باب هذا وباب ذاك، فهذه هي الآفّةُ العُظمى. وقد جنّب الإمام نفسه هذه الآفّة بشكلٍ تامّ، وكان يُوصي مسؤولي البلاد مرارًا بأَنْ لا يتّجهوا نحو حياة القصور والأشراف، وأن لا ينشغلوا بتكديس الثّروة، بل بإيجاد روابط قريبة مع الشّعب»[1].

العقلانيّة الواقعيّة في أَصْل العدالة

أحَبَّ الإمام أنْ يرتبط المسؤولون بالنّاس؛ وذلك لمعرفة مشاكلهم وما يعانون، وكان قدس سره يُصرّ على إيصال الخدمات إلى أقصى نقاط البلاد، لكي يتنعّم أهالي تلك المناطق النّائية بالخدمات العامّة. هذه المفاهيم والتّصرُّفات كانت نابعة من نظرة الإمام الجليل لبُعْد العدالة. كان الإمام يُصرّ أن يُنتخب المسؤولون من بين النّاس، وأن يكونوا مُنبثِقين منهم، وأن لا تُصبح التّبعيّات [المحسوبيّات] مَلاكاً لتقبُّل المسؤوليّات التّبعيّة للشّخصيّات والعائلات: «كان إمامنا الجليل يُحذِّرنا من مصيبةِ العوائل الألف الّتي تزعَّمت هذه البلاد في العهد القاجاريّ والبهلويّ. وكان أحيانًا يقول في مقامِ مدحِ أحد المسؤولين: إنّ هذا جاء من بين النَّاس».

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى 22 لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2011/6/4م.

اختيار النّظام الشّعبيّ

اختيار النّظام الشّعبيّ كنظامٍ سياسيّ للبلاد؛ أي الاعتماد على آراء النّاس. إنّ اختيار هذا النّمط كنظامٍ سياسيّ يُعدّ من المظاهر البارزة لعقلانيّة الإمام في مدرستِه الإحيائيّة، فعلى مدى عدّة قرون من الزّمن كانت الأنظمة الفرديّة (سلطة الشّخص الواحد) الّتي توالت على حُكْم البلد - من الناحية العمليّة - مستبِدّة، والدّكتاتوريّة البهلويّة صارت أمرّ وأشدّ من استبداد الماضِين: «ففي بلدٍ بمثل هذه السّوابق، أَوجَدَ إمامُنا الجليل هذا الإمكان (حُكْم النّاس)، وحقّق هذا التّوفيق، كما حوّل قضيّة حضور الشّعب والانتخابات الشّعبيّة إلى حقيقة مؤسّساتيّة راسخة»[1].

الصّلابة وعدم التّنازُل في مواجهة الأعداء

النّموذج الآخر لعقلانيّة الإمام واستناده إلى العقل والذكاء، كان عبارة عن صلابته وعدم مهادنته في مواجهة العدوّ المُعتدي. لم يثِق الإمام بالعدوّ، فبعد أن خَبِر عدوّ شعب إيران، وعدوّ الثّورة جيّدًا، وقف مقابِله كالطَّوْد الشّامخ. صحيح أنّه كان هناك من يتصوّر أنّ العقل يقتضي أنْ يتنازل المرء أحيانًا للعدوّ، إلا أنّ الإمام كان يتحرّك بعكس هذا التّصوُّر: «فعقلانيّة الإمام وعقل هذا الرّجل الإلهيّ النّاضج الكامل، أوصلَهُ إلى هذه النّتيجة، وهي أنّ أقلّ تنازلٍ وتراجعٍ وليونة مقابل العدوّ، سيؤدّي إلى تقدّم هذا العدوّ. ففي ميدان المواجهة لا يشعر العدوّ بالرّحمة إزاء تراجع الخَصْم، فأيّ خطوة إلى الوراء من قبل الشّعب المجاهد، معناها تقدُّم العدوّ خطوة إلى الأمام، ومزيد من تسلُّطه»[2].

غَرْس الثّقة بالنّفس في الشّعب

المَظهر الآخر لعقلانيّة الإمام كان غرْس الثّقة بالنّفس، واعتماد الشّعب على الذّات. فعلى مدى سنوات، ومنذ بداية تسلُّط الغربيّين ودخولهم هذا البلد - منذ بداية القرن التّاسع عشر الميلاديّ - حينما فُتح الباب للغربيّين على إيران، كانوا دائمًا يملؤون رأس

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى 22 لرحيل الإمام الخميني قدس سره 2011/6/4م.
(2) المصدر نفسه.

الشّعب الإيرانيّ - بواسطة عمّالهم وأعوانهم - بالتّحليلات المختلفة، ويُحقّرونه، ويحمِلونَه على التّصديق بأنّه لا يقدر، وليس لديه شأنيّة الإقدام والتطوّر العلميّ، وأنّه لا يمتلك القدرة على العمل والوقوف على قدمَيه. كان زعماء النّظام البهلويّ وما قبله يُحقّرون شعب إيران على الدّوام، فيُظهرون أنّ أيّ تطوّر مُتوقَّع وأيّ عملٍ كبير، ينبغي أن يتحقّق بواسطة الغربيّين، وأنّ شعب إيران ليس لديه هذه القدرة: «لكنّ إمامنا الجليل عَمِل على غرس روحيّة الثّقة بالنّفس في مثل هذا الشّعب، وهو ما أضحى نقطة تحوّل في شعب إيران. إنّ كلّ هذا التطوّر الّذي يتحقّق في المجال العلميّ والصناعيّ وغيره من الميادين المختلفة للحياة، كان بسبب روحيّة الثّقة بالنّفس هذه. إنّ شبابنا الإيرانيّين اليوم وحرَفيّينا وعلماءنا وسياسيّينا ومبلّغينا، جميعهم يمتلكون الإحساس بالقدرة. فقد رسّخ الإمام الجليل في عمق روح هذا الشّعب شعار: «نحن نستطيع»»[1].

تدوين دستورٍ ثوريّ وإلهيّ

مَظهرٌ آخر هو تدوين الدُّستور. لقد أمر الإمام خبراء الشّعب أن يدوّنوا الدّستور عن طريق الانتخابات. وهؤلاء المدوِّنون للدُّستور أنجزوا عمليّة التّدوين بعد انتخاب الشّعب لهم. فلم يَجرِ الأمر بطريقة يقوم فيها الإمام بتعيين مجموعة خاصّة لكتابة الدّستور، ثمّ يُجعل في عُهدة الشعب، فالأمر مركّب من قسمين: جهد علميّ استنباطيّ يستخرج أصول الدستور من الدّين الإسلاميّ الأصيل، ومواكبة الشّعب لهذا الدستور، وإقراره له كخيار أوّلَ وأخير: «انتخب الشّعب الخبراء عن معرفة ووعي، وهؤلاء قاموا بتدوين الدّستور، ثمّ قام الإمام مجدَّدًا بعرض هذا الدّستور على الشّعب وأجرى استفتاءً عامًّا عليه في طول البلاد وعرضِها... أُنظروا كيف رسّخ الإمام أركان النّظام بصورة مُحكَمة»[2]. لقد أوجد الإمام قاعدة متينةً ومُحكمةً من الجهات الحقوقيّة والسياسيّة والاجتماعيّة، وكذلك على صعيد التطوّرات العلميّة، والّتي أمكَن على أساسها بناء الحضارة الإسلاميّة في الجمهوريّة.

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى 22 لرحيل الإمام الخميني قدس سره 2011/6/4م.
(2) المصدر نفسه.

الشّعب صاحب البلاد

ومن القضايا الّتي تُظهر عقلانيّة الإمام الجليل، هو أنّه كان يفهّم النّاس أنّهم أصحاب هذا البلد ومالِكوه «فللبلاد صاحبٌ». وهذا الكلام كان يجري على الألسُن في عهود الحكومات الاستبداديّة أنّه للبلاد صاحِب. وكان مرادهم من هذا التّعبير أنّ أصحاب البلد هم في الواقع أولئك المستبدّون والدكتاتوريّون المُسلَّطون على البلاد: «كان الإمام يفهّم النّاس أنّ للبلد صاحبًا، وهو الشّعب»[1].

(1) كلمة الإمام الخامنئيّ دام ظله في الذّكرى 22 لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2011/6/4م.

مفاهيم رئيسة:

1. تتميّز ثورة الإمام الخمينيّ، ونهجهُ، بعدم تعارض عقلانيّتها مع المباني والأصول، بل هي مظهرٌ دينيٌّ بامتياز.
2. العقلانيّة في نهج الإمام تعني أنّها هي درب الوصول إلى الأهداف؛ فكلّ خطوات الثّورة ينبغي أن تكون مدروسة وَفق عقلانيّة الثّورة وارتباطها بالأصول الإلهيّة، ولا مجال فيها للتّقديرات القائمة على الهوى.
3. في نهج الإمام تكون العقلانيّة دومًا في خدمة الأصول. وببركة هذا المزج والرّبط وصلت الجمهوريّة إلى مراتب عالية على المستويات العلميّة والعمليّة كافّة.
4. يتمتّع نهج الإمام الخمينيّ بحفاظه على الهويّة الثقافيّة الخاصّة بالثّورة الإسلاميّة، الّتي تُعدّ من مظاهر عقلانيّة خطّ الإمام.
5. في مقابل بناء القدرات الدّاخليّة والذّاتيّة يبقى العداء للاستكبار من مظاهر العقلانيّة، الّتي تمثّل بحدّ ذاتها أصلًا ودليلاً ومرجعيّة للتّقييم والمراجعة الذّاتية دومًا.
6. تؤكّد الثّورة أصل العدالة الاجتماعيّة في الخطّط والأهداف الّتي وضعها الإمام، وشاركَهُ في ذلك الشّعب الثّائر والمحروم.
7. ليست العقلانيّة مبدءًا مثاليًّا في نَظَر الإمام، بل لا يمكن للنَّهج أن يكون عقلانيًّا وإيمانيًّا إلّا إذا كان يمارس كلّ ما يقتضيه الظّرف من أجل تحقيق بُعْد العدالة الاجتماعيّة للنّاس.
8. إنّ اختيار النّظام الشّعبيّ يُعدُّ مَظهرًا بارزًا في خطّ الإمام الإحيائيّ، والّذي يؤكّد حيويّة هذا الخطّ وعقلانيّته وقُربِه من النّاس، وانطلاقِه من أَصْل كرامة الإنسان والإنسانيّة.
9. إنّ عدم الثّقة بالعدوّ والصّلابة وعدم التّنازل في مواجهة الأعداء نموذجٌ آخر لعقلانيّة الإمام، واستناده إلى العقل والذّكاء.

الدّرس العاشر

السِّيادة الشَّعبيّة الدِّينيّة في نَهْج الإمام

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يَشرح مفهوم السّيادة الشّعبيّة الدّينيّة.
2. يُحلِّل مِيزات السّيادة الشّعبيّة الدّينيّة.
3. يَعرف أهمّيّة السّيادة الشّعبيّة الدّينيّة في حِفظ نهج الإمام.

السّيادة الشّعبيّة الدّينيّة كأَصْلٍ عقلانيّ

مِنْ مميِّزات ثورة الإمام الخمينيّ قدس سره، المظهر العقلانيّ في ثورتِه، حيث تجلَّى ذلك في العديد من المواقف، ومنها اختياره النّظام الشّعبيّ الدّينيّ كنظامٍ سياسيّ للبلاد، والاعتماد على آراء النّاس بعد أن كان صوت النّاس وآراؤهم مغيّبة، بفعل الأنظمة الدّكتاتوريّة المُتعاقبة.

فقد حوّل الامام العظيم قضيّة حضور الشّعب والانتخابات الشّعبية إلى حقيقةٍ راسخة: «ولطالما أكّد «الإمام» أنّ أبناء الشَّعب أولياءُ نعمَتنا. وأحيانًا كان يصف نفسه بأنّه خادم للشّعب قائلًا: «أنْ تُسمّوني خادم الشَّعب أَحبُّ إليّ من أن تسمّوني قائده[1]». فهذا التّوجه يدلّ على المكانة المرموقة للشّعب وأفكاره وأصواته ومشاركته في رؤية الإمام. وقد لبّى الشَّعب نداء قائده خيرَ تلبية، فنزَل النّاس إلى السّاحات، وتفانوا في الإيثار بالرّوح والقلب في الميادين الّتي أشار إليها الإمام.

كما أنّه لم يقتصر حضور الشّعب بنَظَر الإمام في الانتخابات، بل في الميادين كافّة كالقضايا الاقتصاديّة والعسكريّة، حيث كان أهمّ خطّ من الخطّوط الرئيسيّة لحركة الإمام، كما يؤكّد الإمام الخامنئيّ دام ظله: «هو الإيمان بإرادة النّاس وقوَّتهم ورفض المركزيّة الحكوميّة»[2]، فلم يقبل إيكال جميع الأنشطة الاقتصاديّة في البلد بعد انتصار الثّورة للحكومة، بل اعتبر أنّ الشّعب شريك الحكومة في حلّ المشاكل الاقتصاديّة والسّعي نحو تطوّر البلاد، كما أنّه لم يقبل بتفكيك الجيش بعد انتصار الثّورة، بل دعمَه بشتّى

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّادسة والعشرين لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2015/6/4م.
(2) المصدر نفسه.

الوسائل المُتاحة. كان يعتبر أنّ على النّاس أن تُشارك في حماية الثّورة، لا أن تقع مسؤوليّة حمايتها على قيادة الثّورة والحكومة: «أسّس الإمام «قوّات الحرس الثوريّ»، ومن بعدها شكّل التّعبئة، وحوّل الحركة العسكريّة إلى حركة جماهيريّة، فاستند إلى النّاس في القضايا الاقتصاديّة، وفي الشّؤون العسكريّة، وفي المسائل العمرانيّة، حيث أَسَّس جهاد البناء على ضوء ذلك، وكذلك في الأمور الإعلاميّة، وفوق كلّ ذلك في مجال الانتخابات وأصوات النّاس، وإسهامهم في إدارة البلد، وهيكليّة نظامه السّياسيّ»[1].

معالِم مدرسة الإمام في السّيادة الشّعبيّة الدّينيّة:

1. حريّة الشّعب واستقلاليّته وحاكميّته:

كان منطَلق الإمام لفَهم علاقة النّاس بالنّظام هو من خلال الشّريعة الإسلاميّة، الّتي تضمَن الحرّيّة للأفراد والاستقلاليّة عن كلّ المؤثّرات الخارجيّة، ورفض الهيمنة والسّيطرة لدول الاستكبار على الشّعب: «هذه هي العناصر الأربعة الأساسيّة: الحرّيّة، الاستقلال، العدالة، المعنويّات»[2]. وكما رفض الإمام الهيمنة على الشّعب من الخارج، فكذلك رفض هيمنة أيّ قوّة داخليّة تحاول الهيمنة والسّيطرة على النّاس من خلال القوّة أو القمع والظّلم، أو من خلال التّزوير والكذب؛ لذلك لم يكن هناك احترامٌ إلّا للقُدرة النّابعة من اختيار النّاس وممارستِهم لخياراتِهم الّتي حفظتها لهم الشّريعة الإسلاميّة. ففي النّظام الإسلاميّ لا معنى للظُّلم والسّيطرة: «في النّظام الإسلاميّ هناك معنى للقدرة والاقتدار، القدرة النّابعة من اختيار النّاس ومن رأيهم. لكن القُدرة النّاشئة من الفرض والضّغط والسّلاح، لا معنى لها في الإسلام ولا في مدرسة الإمام. تلك القدرة الّتي نشأت من اختيار النّاس هي القدرة المُحترَمة»[3].

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّادسة والعشرين لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2015/6/4م.
(2) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السنوية الـ 25 لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2015/6/4م.
(3) المصدر نفسه.

2. قمع النّاس من مشخِّصات الفتنة:

اعتَبر الإمام كلّ من يقف أمام قدرة النّاس واقتدارهم وخياراتهم محبًّا للفتنة، وقد أدخل على الأدبيّات السّياسيّة مصطلح «الفتنة»: «يجب ألّا يلجأ آخرون إلى الظّلم والفَرْض والسّيطرة، إذا قام أحدُهم بهذا العمل، فعملُه يُسمّى الفتنة. هذه وصفة جديدة عرضَها الإمام للعالَم وفصلًا جديدًا، أضافَه إلى الأدبيّات السّياسيّة للعالَم»[1]. لقد جعل رفض الظُّلم والوقوف في وجه الظّالم وسيطرتِه جزءًا لا يتجزّأ من الثّورة، وبعد الثّورة أصبحت هذه المبادئ جُزءًا لا يتجزّأ من النّظام والدّستور.

3. الاهتمام بالقضايا العالميّة:

إذ إنّه كما تجلّت هذه المبادىء في مُساندة خيارات الشّعب الإيرانيّ، تجلّت هذه المبادئ أيضًا في الخارج من خلال نُصرة الشّعوب المُستَضعفة والمظلومة، كنُصرة الشّعب الفلسطينيّ وقضيّته: «... الإسراع لإعانة المظلومين ومجابهة الظُّلم. في زماننا هذا، إنّ المصداق الأكمل للمظلوميّة هو الشّعب الفلسطينيّ، وأنتم رأيتم أنّ الإمام العظيم قد أكّد - من اليوم الأوّل إلى اليوم الأخير من عمره الشّريف - قضيّة فلسطين، حيث دافَع عنها، وأوصى الشّعب الإيرانيّ ومسؤولي البلاد بعدم نسيانها»[2].

4. الانتخابات مَظهر السّيادة:

قد يَظنُّ بعض الناس أنّ الامام قدس سره قد أخذ فكرة الانتخابات من الثّقافة الغربيّة، ودمَجها في الفِكر الإسلاميّ والشّريعة الإسلاميّة، وهذا خلاف منهج الإمام في إحياء الإسلام المحمّديّ الأصيل. الانتخابات هي جزءٌ من نظام الجمهوريّة الإسلاميّة، الّذي تُقرُّه الشّريعة الإسلاميّة، وهو مَظهر أساسيّ لاهتمام النّاس بقضاياهم الاعتقاديّة المُرتبطة بحاكميّة الدِّين على الدولة والمجتمع: «لو لم تَكُن الانتخابات والسّيادة الشّعبيّة والرّجوع إلى رأي النّاس جزءًا من الدِّين، وكانت غير مُرتكزة على الشّريعة الإسلاميّة، فالإمام لم يَكُن ليلتزم بها. وقد شرح ذلك الإنسان الصّريح والحاسم هذه القضيّة». فالانتخابات هي من الدِّين،

(1) الذّكرى السّنويّة الـ 25 لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2015/6/4م.
(2) المصدر نفسه.

والشّريعة الإسلاميّة هي المنبع الأصيل لفكرة الانتخابات ولكلّ التّقنيّنات والإجراءات والسّلوكيات العامّة، التّابعة للنّظام السّياسيّ والمدنيّ في الجّمهورية.

5. **النّظام السّياسيّ يُبنى وِفق الدِّين:**

وهذه النُّقطة هي بمثابة مُفترق طُرق مع باقي المدارس السّياسية في العالم، والّتي تنتمي إلى الرّؤية العلمانيّة في التّنظير للحُكْم السّياسي. إنّ النّظام المدنيّ السياسيّ ليس منفصلًا عن الدّين، وكذلك إرادة النّاس في انتخاب هذا النّظام ينبغي أن تكون وفْق الأُسُس الدّينيّة: «بالنّسبة للنّظام المدنيّ والسّياسيّ، هناك نقطتان أساسيّتان مرتبطتان ببعضهما... الأولى هي تفويض عمل البلاد للشّعب عبر السّيادة الشعبيّة، ومن خلال الانتخابات. والثّانية أن تكون هذه الحركة، النّابعة بالأساس من الإسلام الأصيل، وكلّ ما يتّصل بحركة السّيادة الشعبيّة وتفويض العمل للشّعب، في إطار الشّريعة الإسلاميّة. هذان القسمان، هما، بِلمحَةٍ واحدةٍ، بُعْدانِ لحقيقةٍ واحدة»[1].

6. **صيانة الثّورة مسؤوليّة النّاس:**

اعتبر الامام أنّ صيانة الثّورة تتحقّق بالمحافظة على الانتخابات؛ لأنّ مستقبل البلاد وضمانَته هو في مشاركة النّاس في العمل السّياسيّ. وكلّما زاد عدد المُقترعين زادت قوّة النّظام ومقبوليّته لدى النّاس: «كلّما كان الزِّحام على صناديق الاقتراع أشدّ ومشاركة الشّعب أوسع، قَوِيَت الثّقة بالبلاد وتضاعفت مناعَتُه وحصانتُه»[2].

7. **الانتخابات مَظهر عقلانيّة النّظام الدّينيّ:**

الانتخابات هي التّمثيل الصّحيح للسّيادة الشّعبيّة الدّينيّة، وهي الّتي تُظهر هذا الجانب العقلانيّ في إدارة الحُكم، من خلال استنهاض الدّافع الدّينيّ عند النّاس في انتخاب نظام الحُكم الأنسب، والقائد الأصْلَح للحُكم؛ لذلك لم تتوقّف الانتخابات أو تتأجّل طَوال المدّة السّابقة، منذ انتصار الثّورة الإسلاميّة إلى اليوم، حتى أيّام الحرب: «ففي الأيّام

(1) الذّكرى السّنويّة الـ 25 لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2015/6/4م.
(2) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، من خطبة صلاة الجمعة 2012/2/3 م.

الّتي كانت تُقصف فيها طهران ومدن خوزستان وإيلام وكرمان وبقيّة المناطق، كانت الانتخابات تُجرَى في موعدها المحدّد»[1].

أ. **الانتخابات حمايةٌ من العدوّ:** فتأكيد ضرورة إجرائها ليس من أجل تحقيق السّيادة الشّعبيّة وحسب، بل من أجل حماية البلاد من الأعداء أيضاً: «الانتخابات تَصوْن البلاد. الشّيء الّذي يَحفظ هيْبَة هذا الشّعب، ويبْسُط قدراته المعنويّة بوجه الأعداء، ويُخيفُهم، ويصدُّهم عن التّطاول عليه، هو الحضور والمشاركة الشّعبيّة»[2].

ب. **الانتخابات تأصيلٌ لإرادة النّاس:** لأنّ الانتخابات تضع قسمًا كبيرًا من إدارة الحُكم والنّظام والمؤسّسات في معرض إرادة النّاس واختيارهم، وهذه مسؤوليّات حسّاسة ومهمّة جدًّا: «النّاس يشعرون أنّهم هم أصحاب القرار والإشراف والعمل، في مجال تقرير مصيرهم وإدارة بلدهم والتّخطيط لشؤونه، هذه هي السّيادة الدّينيّة للشّعب»[3].

ج. **التّأثير السّلبيّ في الانتخابات ممنوعٌ:** فقد حاول بعض السّياسيّين إلغاء الانتخابات أو تأجيلها، لكنّ الإمام الخمينيّ وقف في وجههم؛ لأنّه يعتبر إلغاء الانتخابات مُصادرة لقرار الشّعب وسيادَته: «برغم بعض المتلاعبين بالسّياسة أو المتسيِّسين كانوا يبتغون في بعض المراحل إلغاء الانتخابات أو تأجيلها، ولكن جرى - بتوفيق من الله - صدّهم، وأُجريت الانتخابات في موعدها المقرّر»[4].

خصوصيّات السّيادة الشّعبيّة

1. العلاقة الإيمانيّة والعاطفيّة بين الشّعب والمسؤولين:

من خصوصيّات السّيادة الشّعبيّة أنّ العلاقة بين النّاس والمسؤولين لا تقتصر على العلاقة القانونيّة القائمة على تطبيق القانون والأنظمة والتّشريعات والحقوق والواجبات

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، لقاء سنويّ لمختلف شرائح الشعب 2015/9/9م.
(2) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، من خطبة صلاة الجمعة 2012/2/3م.
(3) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، مراسم تنفيذ (إمضاء) حُكم رئاسة الجمهوريّة 2013/8/3م.
(4) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، لقاء سنويّ لمختلف شرائح الشّعب 2015/9/9م.

والعقوبات وحسب، فإضافةً إلى ذلك، يوجد علاقة عاطفيّة وإيمانيّة، ناجمة عن مُعتقدات النّاس وبصيرتهم الدّينية، والتزامهِم بأُسُس الثّورة وأصولها، وهذه العلاقة المتميِّزة لا نظير لها في عالَمِنا المعاصر، والّذي جعل هذه العلاقة بهذا الشّكل، هو الالتزام بالمباني والأصول الّتي أَسَّسها الامام الخمينيّ قدس سره، لنجاح الثّورة واستمراريّة خطّ الإسلام المُحمّديّ الأصيل: «أنْ تكون العلاقة بين الشّعب والمسؤولين مثل هذه العلاقة المَتينة العاطفيّة والإيمانيّة، والدّالّة على الالتزام بالمباني والأصول، وهذا هو ما يُرشد المسؤولين».

2. الالتزام الإيمانيّ والشّعور بالمسؤوليّة:

في ذكرى انتصار الثّورة يخرج الشّعب الإيرانيّ بِشوقٍ وحماسة ومن كلّ الفئات، كبارًا وصغارًا، ذكورًا وإناثًا، أطبّاء ومهندسين، طلّاباً وفلّاحين، إلى الشّوارع في مسيراتٍ ضخمة، من أجل إحياء ذكرى انتصار الثّورة، ويرفعون الشّعارات ويدعون بحفظ الثّورة ويعلنون الالتزام بقضايا الثّورة الأساسيّة: «هذا هو الإيمان، وهذه هي العلاقة الإيمانيّة. ما من أوامر أو تعميمات أو تشجيعات ماديّة بوُسعها دفع الشّعب للنُّزول إلى السّاحة بهذه الصّورة»[1].

3. السّيادة الشّعبيّة الدّينيّة إنجازُ الشّعب:

فالشَّعب هو من حقّق هذا الإنجاز؛ لأنّه يشعر بالالتزام والتّكليف والمسؤوليّة، فالالتزام الإيمانيّ هو الّذي يدفع الشّعب للنّزول إلى ساحات المشاركة السّياسيّة والاجتماعيّة: «هذه هي مِيزة السّيادة الدّينيّة للشّعب. إمامُنا الخمينيّ العظيم هو من فتح هذا الدّرب أمام الشّعب، وقد واصَلَ الشّعب، بكلِّ وفاء، هذا الدّرب حتّى يومنا الحاليّ، وسيواصل ذلك في المستقبل أيضًا، إن شاء الله»[2].

4. التّصدّي لخدمة النّاس:

ليس الهدف من المسؤوليّة في الجمهوريّة الإسلاميّة هو التّسلُّط على النّاس أو الزعامة من أجل أمورٍ ماديّة: «تحمُّل المسؤوليّة في نظام الجمهوريّة الإسلاميّ لا يعني الاستمتاع

(1) كلمة الإمام الخامنئيّ دام ظله في مراسم تنفيذ (إمضاء) حكم رئاسة الجمهوريّة 2013/8/3م.
(2) المصدر نفسه.

بالسُّلطة، إنّما يعني التّصدِّي لخِدمة النّاس»[1]، فالمسؤول هو خادِمٌ للنّاس: «كما أنّ على الحكومة والجهاز القضائيّ أن يَشعُرا تمامًا بأنّهُما في خدمة الشّعب بكلّ معاني الخِدمة»[2]. ومن يكون في موقع المسؤوليّة عليه المحافظة على الخطوط العامّة للثّورة وخدمة النّاس والمجتمع: «يسعى المسؤولون ويعملون ويبذلون الجهود، ويقدّمون قدراتهم في الميادين المختلفة، ليُخفِّفوا من مُشكلات النّاس، وليصلوا بالبلاد إلى أهدافها»[3].

5. هدف السّيادة الشّعبيّة هو الاقتدار:

من واجبات المسؤولين أن يعملوا بصبرٍ وتؤدة لرفع مشكلات النّاس، ويجب عليهم تمتين البُنية الدّاخليّة من أجل الوصول الى الاقتدار الوطنيّ والاكتفاء الذّاتيّ في البلاد، في مقابل الأعداء المُتربِّصين بالثّورة، فعليهم أن يستفيدوا من القُدرات الهائلة للبلاد وقِيَم الثّورة، والأصول والمباني الّتي أكّدها الإمام العظيم، وعدم الرُّكون إلى الظّالمين والخارج؛ لأنّهم سيُخذَلون كما خُذِل الشّاه من قبل: «الدّرس الكبير الّذي تعلّمناه من هذه الضّغوط الاقتصاديّة هو أن نعمل كلّ ما بوسعنا لتمتين البُنية الدّاخليّة لاقتدار البلاد، ونفعل ما يمكننا لنكون مُقتدرين في داخلنا، ولا نعقِد الآمال على الخارج»[4].

6. تَلاحُم الشّعب والمسؤولين:

إنّ التعاون بين الحكومة والشّعب، والتّرابط العاطفيّ والعقائديّ بين الشّعب ومسؤولي البلاد، يُعدُّ أحد المظاهر الأساس للحُكم الشّعبيّ. وقد استطاع هذا التّلاحم أنْ يحلّ الكثير من المسائل ذات الأهمّيّة الكبرى، وهو من القوّة والرّصانة بحيث يصعب انفكاكُه بعون الله تعالى، وبوجود الرُّوح الثوريّة الّتي ثبّتها الإمام العظيم في الشّعب: «لقد كان إمامنا الكبير -رضوان الله عليه- يوصي الشّعب دائمًا بالتّعاون مع الحكومات الّتي تتابعت... فإنّ هذا التّلاحم والودّ المتبادل يجب أن يكون أكثر استحكامًا، وهو كذلك بحمد الله. وعندما

(1) كلمة الإمام الخامنئيّ دام ظله في مراسم تنفيذ (إمضاء) حكم رئاسة الجمهوريّة 2013/8/3م.
(2) المصدر نفسه.
(3) المصدر نفسه.
(4) المصدر نفسه.

يجعل الشّعب كلّ ثقتِه في مديريه الأصليّين، ويرى فيهم علائِم الصّدق والكفاءة، فإنّ كلَّ الأمور سوف تعود ميسورةً سهلةَ الحلّ، ولن تستطيع الوساوِس والدّسائس أن تترك أَثَرها التّخريبيّ في خلقِ نوعٍ من التّوتُّر وعدم التّعاون»[1]. هذا التّلاحم هو الّذي حمى البلاد ومنع الشّعب من الانجرار وراء الأبواق الإعلاميّة الكثيرة الّتي يستغلُّها الغرب والاستكبار لِبَثِّ روح الهزيمة واليأس في الشّعب، والتّشكيك في عمل المسؤولين في الجمهوريّة الإسلاميّة.

7. النُّهوض باحتياجات النّاس:

إذ إنّ مكافحة الفقر والحرمان تُعدُّ من الأهداف الأولى في النّظام الإسلاميّ، وليس ادّعاء التزام مبادئ الثّورة من دون الجّهاد في سبيل إنقاذ المستضعفين والمحرومين، إلّا كلامًا فارغًا وادّعاءً خاويًا: «إنّ الحكومة والشّعب يجب أنْ يَعتبرا مسألة إعمار البلاد واجبًا ثوريّا، فيعملا، عبر تعبئة كلّ القوى والطّاقات والعقول والسّواعد وتعاونها، على بناء البلاد وتقدُّمها إلى المستوى الّذي يُحيي الأمل في قلوب الشّعوب المظلومة، ويعرض أمامها سبيل الرّاحة المادّيّة والتّعالي المعنويّ معًا»[2].

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّنويّة الأولى لرحيل الإمام قدس سره 1990/6/4م.
(2) المصدر نفسه.

المفاهيم رئيسة:

1. إنّ المَظهر العقلانيّ في ثورة الإمام الخمينيّ هو من المميِّزات الخاصّة بها، واختيار نظام السّيادة الشّعبيّة الدّينيّة مبنيٌّ على هذه العقلانيّة.
2. لا تنفكُّ الرّؤية السّياسيّة للإمام الخمينيّ عن مُعطى حريّة الشّعب واستقلاليّته وحاكميّته، ورفض كلّ تحكُّم من الاستكبار والاستعمار بالشّعوب.
3. إلحاق الأذى بالنّاس من قِبَل أيّ شخص هو من علامات النّفاق وعدم الإخلاص لله تعالى، وهو أمر مُعارض لأُسس الثّورة الإسلاميّة.
4. السّيادة الشّعبيّة الدّينيّة تعني أن يستقلَّ الشّعب بإدارة ذاتِه، وفي الوقت نفسه أن يبذُل الشّعب الاهتمام المطلوب بالقضايا العالميّة، وعدم قبول أيّ تقييد لهذه الحرّيّة من قِبَل الاستكبار العالميّ.
5. الانتخابات هي جزءٌ من نظام الجمهوريّة الإسلاميّة الّذي تُقرُّه الشّريعة الإسلاميّة، وهو مَظهر أساسيّ لاهتمام النّاس بقضاياهم الاعتقاديّة المُرتبطة بحاكميّة الدّين على الدّولة والمجتمع.
6. إن صُلْب رؤية الإمام الخمينيّ لفكرة السّيادة الشّعبيّة الدّينيّة تتّكئ على أنّ نظام الحُكم ينبغي أن يُبنى على الدّين الإسلاميّ الحنيف مقابل باقي الرّؤى العلمانيّة والرّؤى المُخالفة.
7. إنّ مُعطى السّيادة الشّعبية الدّينيّة تجعل من مهمّة الحفاظ على الثّورة مَهمَّة مُلقاة على عاتق النّاس، كواجبٍ دينيّ ومسؤوليّة شرعيّة.
8. الانتخابات تُظهِر الجانب العقلانيّ للنّظام الدّينيّ؛ ولذلك لم يَقبل الإمام الخمينيّ قدس سره بتوقُّف الانتخابات حتّى في زمن الحرب المفروضة. فهي تُحقّق السّيادة، وكذلك تحمي الأمّة من العدوّ.

9. مِنْ خصوصيّات السّيادة الشّعبيّة وجود تلك العلاقة الإيمانيّة والعاطفيّة بين الشّعب والمسؤولين؛ لأنّها ناجمة من اعتقاد النّاس بالأصول الإيمانيّة للثّورة.

10. مِنْ مميّزات السّيادة الشّعبيّة الدّينيّة وجود الالتزام الإيمانيّ والشّعور بالمسؤوليّة عند النّاس، وأنّها إنجازٌ للشّعب ولم تُفرض عليه، وأنّها في خدمة النّاس وليست للتّسلُّط عليه، وهدفُها هو الاقتدار.

الدّرس الحادي عشر

معايير استمراريّة نَهْج الإمام الخمينيّ قدس سره

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يَشرح أهمّيّة وجود معايير تَرعى استمراريّة نهج الإمام.
2. يُحلِّل معايير استمراريّة نهج الإمام.
3. يَعرف معنى التّوازنِ بين الأبعاد الثّلاثة في نهج الإمام.

ضرورة وجود معايير لحفظ نهج الإمام

إذا أردنا لهذا الخطّ العظيم أن يستمرَّ، فلا بدَّ من معايير محدَّدة تُمكِّننا من المحافظة على هذا الخطّ وقياس صحَّة العمل وخطئه من خلال هذه المعايير. يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «من أجل أن لا يحصل هذا الانحراف والاتّجاه الخاطئ، نحتاج إلى معايير معيّنة. لا بدّ من وجود علامات ودلالات في الطّريق. إذا كانت هذه المعايير واضحة ساطعة ومشهودة من قبل النّاس، فلن يحصل الانحراف. وإذا انصرف شخص باتّجاه الانحراف، فسوف يُعرَف من قبل عامّة النّاس، ولكن إذا لم يكن ثمَّة معيار، فعندئذٍ سيكون الخطرُ جدّيًّا»[1].

فمن دون معايير سيكون هناك خطر على الثّورة الإسلاميّة المُباركة. إضافةً إلى وجود معايير، لا بدّ من أن تكون واضحة لكلّ النّاس، لكي لا يحصل لُبْس لديهم، ومن هنا يستطيعون معرفة مدى صِدق كلّ من يدّعي أنّه مع هذا الخطّ ومحاكمته وتقويمه، وخاصّة بعد انتصار الثّورة؛ إذْ غالبًا ما تُواجه الثّورة بعد انتصارها صعوبة في الحفاظ على المبادئ الّتي انطلقت منها لبناء الثّورة والنّصر، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «تكتسب هذه النّظرة أهمّيّتها من أنّ التّحدّي الرّئيسيّ في جميع التحوّلات الاجتماعيّة الكبرى - بما في ذلك الثّورات - هو صيانة الاتّجاهات الأصليّة في هذه الثّورة، أو هذا التّحوُّل. هذا هو التَّحدّي الأهمّ الّذي يواجه أيّ تحوّل اجتماعيّ عظيم، له أهدافه، ويروم التّحرك نحو تلك الأهداف والدّعوة لها. ينبغي الحفاظ على هذا الاتّجاه. إذا لم تجرِ صيانة الاتّجاه نحو

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، ولادة الصدّيقة الكبرى فاطمة الزّهراء عليها السلام وسيّدة نساء العالمين 2010/5/4م.

الأهداف في الثّورة أو في المسيرة الاجتماعيّة، ولم تُحفظ هذه الأهداف، فسوف تنقلب تلك الثّورة إلى ضِدّها وتعمل في الاتّجاه المُعاكس لأهدافها»[1]. وفيما يأتي نذكر أبرز معايير استمراريّة نهج الإمام قُدِّسَ سِرُّهُ وأهمّها:

معرفة الإمام الخمينيّ قُدِّسَ سِرُّهُ

من أفضل المعايير الّتي يعتبرها الإمام الخامنئيّ دَامَ ظِلُّهُ ميزانًا لحفظ الثّورة، وحفظ الخطّ المُقدّس، الإمام الرّاحل نفسه قُدِّسَ سِرُّهُ وخطّه: «أقولها لكم: إنّ أفضل المعايير هو الإمام نفسه ونهج الإمام. الإمام أفضل معيار ودليل بالنّسبة إلينا»[2]؛ لذلك يدعو -حفظه الله- إلى تعريف النّاس بالإمام الخمينيّ المُقدَّس وخطّه لكي يكون خطّه جليًّا وواضحًا أمام النّاس: «إذا كان المقرّر أن تسير هذه الثّورة على نهج الإمام وبإشارة من يد الإمام نحو الاتّجاه الصّحيح، فينبغي أن يكون خطّه واضحًا وطريقه جليًّا، ويجب تبيين مواقفه بصورةٍ صحيحة»[3].

عدم المداهنة في نهج الإمام

إنّ الحفاظ على نهج الإمام يعني أيضًا عدم المداهنة في مواقف الامام وخطّه، من أجل إرضاء بعض النّاس أو المسؤولين، أو من أجل كسب أتباع أكثر لهذه الثّورة، أو من أجل ضغوطات من العالَمينِ الغربيّ والشّرقي، وذلك يكون من خلال أسلوبين:

1. **إخفاء مواقف الإمام الخمينيّ قُدِّسَ سِرُّهُ أو تمييعها:** إنّ إخفاء بعض من مواقف الامام الرّاحل قُدِّسَ سِرُّهُ، أو بعضًا من خطّه، يُعَدَّ ضربةً قاصمة للثّورة الإسلاميّة، وهو سعي لتفريغ الثّورة الإسلاميّة من محتواها، يقول الإمام الخامنئيّ دَامَ ظِلُّهُ: «بعضهم يفكّر بهذه الطّريقة - وهذا تفكيرٌ خاطئ - وهي أنّه من أجل أَنْ نكسب أتباعًا وأنصارًا أكثر للإمام، ونجعل معارضيه ينجذبون ويميلون إليه، فعلينا إخفاء بعض المواقف الصّريحة للإمام، أو أن لا نذكرها، أو نقلّل من أهمّيّتها. كلّا، هويّة الإمام وشخصيّته

(1) خطاب الإمام الخامنئي دَامَ ظِلُّهُ، ولادة الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ وسيدة نساء العالمين 2010/5/4م.
(2) المصدر نفسه.
(3) المصدر نفسه.

بهذه المواقف الّتي أعلنها، من أكثر التّعابير صراحة، ينبغي عرض شخصيّة الإمام بصراحة وسط السّاحة، وينبغي عرض مواقفه ضدّ الاستكبار، والرّجعيّة، واللّيبراليّة الدّيمقراطيّة الغربيّة، ومواقفهُ ضدّ المنافقين والمتذبذبين بكلّ صراحة»[1].

2. **إماتَة ذِكْر الإمام الخميني** قدس سره: وهو أشدُّ وطأةً من الأسلوب الأوّل، لأنّه يُلغي كلّيًا حضور هذا الإنسان العظيم من ساحة الأمّة وقضاياها، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «الإمام من دون نهج الإمام ليس ذلك الإمام الّذي اندفع الشّعب الإيرانيّ إلى الأمام بأنفاسه ونفسه وهدايته، فوضعوا أرواحهم على الأكُفّ وقدّموا أبناءهم إلى أشداق الموت، ولم يبخلوا بأرواحهم وأموالهم، وخَلقوا أعظم أحداث الفترة المعاصرة في هذه المنطقة من العالَم. الإمام من دون نهج الإمام إمامٌ بلا هويّة، إنّه لَاعوجاجٌ فكريّ أنْ نُنكر مواقف الإمام»[2].

والاعوجاج الفكري ليس حكرًا على أعداء الثّورة، بل قد يحصل لدى من كان يومًا من أنصار الثّورة: «وهو اعوجاجٌ فكريّ يصدر للأسف عن بعض الّذين كانوا يوماً ما من مروّجي أفكار الإمام وناشريه أو من أتباعه وأنصاره». وهنا تكمن أهمّيّة معرفة الإمام وخطّه، من أجل بقاء هذه الثّورة، لكي لا يغترّ الإنسان ببعض المواقف من أُناسٍ كانوا يومًا مع الثّورة، فمواقفهم اليوم نَقيسُها بنهج الإمام، لنعرف مدى انتمائهم للإمام وخطّه.

استمرار الإسلام المحمّديّ الأصيل

الإسلام لا يهتمّ بالأمور العباديّة وحسب، بعيدًا عن المجتمع ومشاكله، بل هو إسلام ينطلق من العبوديّة لله تعالى، ليرفع كلّ أشكال الظُّلم والانحرافات عن النّاس، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «الإسلام المحمّديّ الأصيل... أي الإسلام المُقارِع للظّلم، والإسلام المطالِب بالعدالة، والإسلام المُجاهد، والإسلام المُناصر للمحرومين والفقراء، والإسلام المدافع عن حقوق الحُفاة والمعذّبين والمُستضعفين»[3].

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، ولادة الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام وسيّدة نساء العالمين 2010/5/4م.
(2) المصدر نفسه.
(3) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، بتاريخ 1389/3/14هـ.ش.

فالإمام الرّاحل دائمًا كان يدعو إلى العودة للإسلام المحمّديّ الأصيل قبل انتصار الثّورة وبعدها: «وهي ليست فكرة مختصّة بفترة الجمهوريّة الإسلاميّة، بَيْد أنّ تحقُّق الإسلام الأصيل غير متاحٍ من دون سيادة الإسلام وتأسيس نظام الحُكم الإسلاميّ»[1].

ولذلك، سعى الامام الخمينيّ إلى إقامة الجمهوريّة الإسلاميّة لإحياء الاسلام المحمّديّ الأصيل؛ لأنّ الاسلام من دون حكومة لن يتمكّن من تحقيق أهدافه، ولن يتمكّن من الدّفاع عن النّاس ورفع الظّلم عنهم؛ لذلك اعتبر الإمام أنّ من أوجب الواجبات حفظ الجمهوريّة الإسلاميّة، من أجل إدامة هذا الإسلام المحمّديّ الأصيل، كما يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «لذلك اعتبر الإمام الخمينيّ حماية الجمهوريّة الإسلاميّة وصيانتها أوجب الواجبات، أوجب الواجبات، وليس من أوجب الواجبات... لأنّ صيانة الإسلام - بالمعنى الحقيقيّ للكلمة - رهنٌ بصيانة النّظام السّياسيّ الإسلاميّ، ولا يمكن ذلك من دون نظام سياسيّ»[2].

الإسلام والعقيدة معيار جاذبيّة الإمام الخمينيّ قدس سره ودفعِه

الإمام الخمينيّ لم تكن عنده عداوة شخصيّة مع أحد، ولكنّ معيار العداوة عنده لأشخاص أو تقريبهم كان حسب التزامهم بالأحكام الإسلاميّة والعقيدة، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «لم تكن له عداوة شخصيّة مع أحد. وإذا كانت هناك أكدارٌ شخصيّة، كان الإمام يضعُها تحت قدميه. لكنّ العداء في سبيل العقيدة والدّين كان عند الإمام مهمًّا وجدّيًّا للغاية»[3].

فالعداء الشّخصيّ لم يكن موجودًا في قاموس الإمام، وهذا ما يجب على أتباعه أنْ يعرفُوه، ويعملوا به، من تولٍّ وتبرٍّ على أساس معيار الدّين والعقيدة. لا بدّ للإنسان الّذي يحافظ على نهج الإمام من أن ينظر ما يريده الله منه: «ليس للإمام خِصام شخصيّ، ولكنّه في إطار العقيدة والدّين يُبدي جاذبيّته وتنفيره بكلّ حزم، هذا دليلٌ رئيس في حياة الإمام

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، ولادة الصدّيقة الكبرى فاطمة الزّهراء عليها السلام سيّدة نساء العالمين، 1431ق/ 2010/5/4م.
(2) المصدر نفسه.
(3) المصدر نفسه.

ومدرسَتِه. التّولّي والتّبرّي على صعيد السّياسة أيضًا يجب أن يتبع الفِكْر والمباني الإسلاميّة والدينيّة. هنا أيضًا يجب أن يجعل الإنسانُ الدّين ملاكه ومعياره، وينظر ما الّذي يريده منه الله تعالى. وفق هذه المنهاج الّذي سار عليه الإمام والمُنعَكس في أقواله وأفعاله، لا يمكن أن يعتبر الإنسان نفسه في نهج الإمام وتابعًا للإمام، لكنّه في ذات الوقت يطرح نفسه في جبهة واحدة مع الّذين يرفعون بصراحة راية معارضة الإمام والإسلام»[1].

الإيمان بالنّاس

النّاس الّذين عاش الإمام معهم ومن أجلهم، والتفّوا هم حوله وآمنوا بثورتِه ونهضتِه، هم إرْثُ الإمام، والحفاظ على العلاقة بينهم وبين نهج الإمام من أهمّ الواجبات، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «بالنّسبة إلى إيمانه بالنّاس، فقد كان الإمام العظيم يعرف الشّعب الإيرانيّ بكلّ ما للكلمة من معنى، عميق الإيمان، ذكيّ وشجاع، وإذا ظَهَرَ بينهم قادة لائقون، فإنّ هذا الشعب سيتوهّج كالشّمس في مختلف المجالات. لقد آمن الإمام بهذا»[2].

دور الجماهير

إنّ الثّورة قائمة على إيمان النّاس بمبادئها، وعندما تنتصر، لا بدّ من أن يكون للنّاس دورٌ في استمراريّتها، وإلّا فسيُصاب النّاس باليأس ممّا حاربوا من أجله، وسيقتنعون بأنّ كلّ ما ضحّوا من أجله لم يكن أمرًا حقيقيًّا. ولكنّ الإمام الخمينيّ العظيم أبى إلّا أن يكون للنّاس دورٌ في هذه الثّورة قبل انتصارها وبعده، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «ومن الخطوط الرّئيسة الأخرى في نهج الإمام دور الجماهير، سواءٌ في الانتخابات حيث قام الإمام على هذا الصّعيد بحركة عظيمة حقًّا، أو في غير الانتخابات، أيْ في القضايا الاجتماعيّة المختلفة، لا يوجد في أيّ ثورة خلال فترة الثّورات - والنّصف الأول من القرن العشرين هو فترة الثّورات المختلفة، حيث قامت ثورات بأشكالٍ مختلفة في شرق العالم وغربه - أنْ أجروا استفتاءً عامًّا بعد شهرين من انتصار الثّورة لانتخاب أسلوب الحُكم ونظامه، لكن هذا

(1) ولادة الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام 2010/5/4م.
(2) المصدر نفسه.

الأمر حدث في إيران بهمّة الإمام. ولم تمضِ سنة على الثّورة حتّى جرى تدوين الدّستور والمُصادقة عليه»[1].

الحفاظ على التّوازن بين هذه العناصر

بعد أن يشرح الإمام الخامنئيّ دام ظله الأبعاد الثّلاثة في مدرسة الامام، يؤكّد أنّ استمرارية المجتمع الإسلاميّ والحفاظ على الثّورة متقوّم برعاية هذه الأبعاد الثّلاثة: «ينبغي النّظر إلى هذه مُجتمِعَةً؛ فالاعتماد على أحد هذه الأبعاد من دون الالتفات إلى الأبعاد الأخرى، يسوق المجتمع في الطّريق الخاطئ، ويجرّه نحو الانحراف. فهذه المجموعة المتكاملة هي الميراث الفكريّ والمعنويّ للإمام. الإمام الجليل كان في سلوكه مراقِبًا للعقلانيّة ومراقِبًا للرّوحانيّة، وبكلّ وجوده كان متوجّهًا إلى بُعْد العدالة»[2].

خطر الانحراف جرّاء فقدان التّوازن

إنّ عدم رعاية هذه الأبعاد بطريقةٍ متناسبة، يؤدّي بالمجتمع إلى الانحراف، فبرأي الإمام الخامنئيّ دام ظله أنّه: «علينا رعاية هذا الخطّ، إلّا أنّ هذا ينبغي أن يكون من جميع الجوانب. فلو أراد شخصٌ أو تيّارٌ أن يَعدِل عن القِيَم الإسلاميّة والثوريّة تحت عنوان العقلانيّة فهذا انحراف. ولو أراد شخصٌ بحُجّة العقلانيّة أنْ يخرج عن التّقوى مُقابِل العدوّ ويُحدِث التّبعيّة، فهذا انحرافٌ وخيانة. إنّ تلك العقلانيّة الموجودة في مدرسة إمامنا الجليل لا تقتضي الغفلة عن خُدَع العدوّ وكيدِه وخططه الماكرة والثّقة به والتّنازل له. فكلّما تنازل الإنسان لعدوّه سوف يخسر الدّعم المعنويّ العظيم داخل البلد، ومن قلوب الشّعب»[3].

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، ولادة الصدّيقة الكبرى فاطمة الزّهراء عليها السلام وسيدة نساء العالمين 2010/5/4م.
(2) المصدر نفسه.
(3) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى الثّانية والعشرون لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 2011/6/4م.

المفاهيم الرّئيسة:

1. لا بدّ من معايير يجري من خلالها ضبط حركة الثّورة والسّهر على استمرارها، على أصالتها وقِيَمِها الّتي انطلقت منها، وكذلك للأمن عليها من الانحراف الّذي غالبًا ما يُصيب الثّورات، بعد أن تتحوّل إلى أشكال الأنظمةِ والسُّلطة.
2. من معايير استمراريّة نهج الإمام قدس سره معرفة شخصيّة الإمام الخمينيّ قدس سره.
3. ومن المعايير أيضًا، عدم المُداهنة في نهج الإمام من قِبَل الكوادر الأساسيّين والمسؤولين، في مقابل بعض الفئات والجماعات الدّاخلية أو الخارجيّة، بصرف النّظر عن المكاسب والإغراءات الّتي يجري الضّغط من خلالها.
4. لقد سعى الإمام الخمينيّ إلى إقامة الجمهوريّة الإسلاميّة لإحياء الاسلام المحمّديّ الأصيل؛ لانّ الإسلام بدون حكومة لن يتمكّن من تحقيق أهدافه.
5. جاذبيّة الإمام الخمينيّ قدس سره ودَفْعه قائمةٌ في معياريّة الإسلام والعقيدة في شخصيّة الإمام قدس سره؛ ولا يمكن فَهم حركة الإمام إلّا على ضوء الإسلام والعقيدة.
6. الإمام الخمينيّ لم تكن عنده عداوة شخصيّة مع أحد، ولكنّ معيار العداوة عنده لأشخاص أو تقريبهم كان حسبَ التزامهم بالأحكام الإسلاميّة والعقيدة.
7. لم يكن العداء الشَّخصيّ مع أحد موجودًا في قاموس الامام، وهذا ما يجب على أتباعه أنْ يعرفُوه ويعملوا به من تولٍّ وتبرٍّ على أساس معيار الدّين والعقيدة.
8. إنّ الإيمان بالنّاس ومحبّتهم والسّعي لخدمتهم من المعايير العُظمى، وهم إرْثُ الإمام، والحفاظ على العلاقة بينهم وبين نهج الإمام من أهمّ الواجبات.
9. لكي يحافظَ الإمام على الثَّورة كانت الانتخابات أحد أهمّ مظاهر عمله وعقيدته، في إنشاء الجمهوريّة الإسلاميّة.
10. البُعد المعنويّ في نهج الإمام الخمينيّ يعني الإيمان بالغيب ورحمة الله الواسعة، والإيمان والثّقة بالله تعالى.
11. البُعد العقلانيّ في نهج الإمام الخمينيّ يعني أن يبقى نهج الإمام على أصالته، فلا يكون مبنيًّا على خليطٍ عاطفيّ وانفعاليّ دون أُسُس منطقيّة وعقليّة.

الدّرس الثّاني عشر

استمراريّة نهج الإمام والتحدِّيات القابلة

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يَشرح أهمّيّة التّعرُّف إلى نقاط القوّة في نهج الإمام.
2. يقيّمَ وجود نقاط للضّعف تشكّل خطراً على نهج الإمام.
3. يميّز بين التّحدِّيات الّتي تواجه الثّورة وكيفيّة مواجهَتِها.

من أجل استمرار نهج الإمام لا بدّ من أمرَيْن: الأمر الأوّل، هو معرفة المعايير الّتي يجب أن نَقيس عليها لنصحِّح الأعمال ونرسُم الخطط الموافِقة لنهج الإمام، وقد تقدّم ذلك في الدّرس السّابق. والأمر الآخر، هو معرفة نقاط القوّة والضّعف لدينا؛ فمن خلال نقاط القوّة نعلم أنّنا في الاتّجاه الصّحيح للمحافظة على الاسلام المحمّديّ الأصيل، ومن خلال معرفة نقاط الضّعف نستطيع أن نضع الخطط لتحقيق الأهداف السّامية، وتجاوز هذه النّقاط عبر الشّعار الّذي رفعه الإمام الخمينيّ قدس سره «نحن قادرون».

نقاط القوّة في الثّورة

1. ثبات الثّورة في وجه الهجوم الاستكباريّ:

على الرُّغم من المقاطعة الاقتصاديّة والسّياسيّة للجمهوريّة الإسلاميّة وافتعال الحروب والمشاكل ضدّها، إلّا أنّها حقّقت خلال ثلاثة عقود من الثّورة إنجازاتٍ هائلة كانت مَحطّ إعجابٍ وذهول من قِبَل أعداء الثّورة، وهذا الأمر من المَفاخِر الّتي يُجاهر بها الإمام الخامنئيّ دام ظله إذ يقول: «أُذكِّر أنّه على الشّعب الإيرانيّ أن يتنبّه إلى أنّ كلّ هذا التّقدّم العلميّ والاجتماعيّ والتّقنيّ تحقّق في ظروف الحَظر والمقاطعة، وهذه مسألة على جانبٍ كبيرٍ من الأهمّيّة. لقد أغلقوا أبواب العلم وأبواب التّقنية بوجهنا، وسدّوا الطُّرق، ولم يبيعونا المُنتجات اللّازمة، ومع ذلك تقدَّمنا على هذا النّحو. لقد حصلت هذه الأمور والتّطوّرات في ظروف الحظر، وهذا ما يُضاعف الآمال»[1].

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، من خطبة صلاة الجمعة 2012/2/3م.

2. الانتصار على التّحدّيات:

من أهمِّ نقاط القوّة في الثّورة الإسلاميّة هو معرفة التّحدّيات والانتصار عليها، فلا يمكن للثّورة أن تستمرّ من دون إدراك المخاطر حولها، والمكائد الّتي يجري نصبُها لها، فهذه التّحدِّيات المُركّبة والخطرة والمعقَّدة تحتاج إلى شعبٍ ثوريّ لا يمشي «مكبّاً على وجهه». يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «لم نكن شعبًا ننكّس رؤوسنا ونسير في طريقنا، ولا أحد يهتمّ بنا، لا، فمنذ البداية كانت القوى العالميّة المُهيمنة تتربّص بنا، وعَمدت إلى إيذائنا وعرقلة مسيرتنا، وقد فرضوا الحرب علينا، وأطلقوا صدّامًا علينا، وشغلونا مدّة ثمانية أعوام، وبعثوا لنا الإرهابيّين، وفرضوا الحظر الاقتصاديّ. وقد تغلّبنا، إلى الآن، على كلِّ هذه التّحدِّيات، فلم يُخضعنا أيّ تهديد، ولم يبعث شعبنا وثورتنا على النّدم والاستسلام. لقد واصَلنا طريقنا -والحمد لله- بِهاماتٍ مرفوعة. هذه هي نقطة القوّة الأهمّ لدينا»[1]. فبالرّغم من كلّ التّحديات الّتي فُرضت على الجّمهوريّة الإسلاميّة، لكنّها استطاعت مواجهتها والتغلُّب عليها؛ وهذا يعني أنَّ الخطّ الّذي رسمَهُ الامام قدس سره ما زال حيًّا، برغم مرور أكثر من ثمانية وعشرين عامًا على رحيله.

3. تحقيق الخدمات للشَّعب:

البُنى التحتيّة في الدّولة والخدمات هي من أهمّ مقوِّمات الصّمود وتحقيق العدالة للشّعب؛ فقد استطاعت الجمهوريّة الإسلاميّة خلال فترةٍ قصيرةٍ نسبيًّا تأمين الخدمات كافّة المُتاحة للشّعب، وهذه من بركات استمرار الثّورة وعدم سماحها لأيِّ فرصة بالعودة بالبلاد إلى الوراء، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله : «ونقطة القوّة التّالية الّتي توافرت خلال هذه الفترة، هي تنامي واتّساع الخدمات المُقدَّمة للشّعب كمًّا وكيفًا، هذه الخدمات لا تُقارن بالماضي القريب قبل الثّورة حتى بالماضي البعيد. الخدمات الهائلة الّتي انتشرت وتنامَت في أنحاء البلاد كلّها كانت ذات نوعيّة وجودة عالية ومن الدّرجة الأولى - الخدمات الماديّة والمعنويّة - وكانت كمِّيتها وسِعَتها أيضًا كبيرة جدّاً»[2].

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، من خطبة صلاة الجمعة 2012/2/3م.
(2) المصدر نفسه.

4. التقدُّم العلميّ:

إنَّ الـدُّول اليوم تُقاس بالتُّقدم العلميّ، وعلى أساسه يكون الواقع الاجتماعيّ والاقتصاديّ داخل البلد، وبهذا التقدُّم تكتسب الدّول مكانَتها في المجتمع الدوليّ، وهذا ما أثبتته الثّورة الإسلاميّة في إيران من خلال الاصرار على المقاومة والاستمرار في نهجِها الثوريّ، يؤكِّد الإمام الخامنئيّ دام ظله على أهمّيّة التّقدّم العلميّ، فيقول: «لا تستهينوا بهذا التّقدّم العلميّ، هذا التقدُّم على جانب كبير من الأهمّيّة. العلم هو أساس التقدُّم الشامل لأيّ بلد. سبق أن قرأت الحديث القائل: «العِلْم سلطان»، أيّ العلم اقتدار، كلّ من يتوافر لديه هذا الاقتدار يستطيع أن يبلغ كلّ مقاصده. وقد استطاع مستكبرو العالم - بفضل العلم الّذي حازوه - فرْض قوَّتهم على كلّ العالَم. ونحن طبعًا لن نميل إلى منطق القوّة أبدًا، لكنّ العلم ضروريّ لنا بالتّأكيد من أجل التقدّم»[1].

والتّقدّم العلميّ هو الّذي يرفع الدّول ويجعلها تُهيمِن على العالَم وتفرض شروطها، مع احتكار المستضعفين وحرمانهم من نتاجات العِلم. فلتحصين الثّورة ينبغي أن تستقلّ علميًّا عن قوى الاستكبار، ولاستمراريّة الثّورة لا بدّ من بناء أُمَّةٍ مقتدرةٍ علميًّا. يشرح ذلك الإمام الخامنئيّ دام ظله في كلامه، فيقول: «تقدّمنا العلميّ الّذي أحرزناه طوال هذه الأعوام الثّلاثين والنيّف كان مذهلًا حقًّا. والتّقنيّة النّوويّة بالمناسبة هي معروفة، وقد جعلتنا محطّ أنظار الجميع في داخل البلاد وخارجها، لكنّ الأمر لا يقتصر عليها وحدها، فهناك تقنيّة نوويّة، وهناك أيضًا علوم الفضاء والطّيران، والعلوم الطبيّة - ولحُسن الحظّ فإنّ بلادنا اليوم تحتلُّ في الطبّ مراتب مهمّة جدًّا وصعبة المنال، وقد أُنجزت أعمالٌ طبّيّة كبيرة في هذا البلد - وهناك تقنيّات الأحياء، وتقنيّات النّانو، وهي من العلوم الحديثة في العالم، وهناك تقنيّات الخلايا الجذعيّة، وهي من أعظم الأعمال والإنجازات في ميدان العلم، وهناك الاستنساخ، وصناعة الحواسيب العملاقة، وتقنيّات الأشكال الجديدة من الطّاقة، والأدوية الراديَوِيّة والأدوية المضّادة للسّرطان، والقائمة متواصلة»[2].

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، من خطبة صلاة الجمعة 2012/2/3م.
(2) المصدر نفسه.

وبفضل الله تعالى فقد أَحـرزت الجمهوريّة الإسلاميّة مراتب متقدِّمة في العلم والاكتشافات، وفق خطّةٍ واضحةِ المعالِمْ، وهذا من الأدلَّة المهمّة على أنّ الثّورة مستمرّة ومُنطلِقة بقوّة، يفصّل الإمام الخامنئيّ دام ظله بعض النّماذج حول هذا التقدّم: «ما أذكره ليس من باب الارتجال، إنّما هي شهادات المراكز العلميّة المُعتَبَرة في العالَم. هم يقولون: إنّ أسرع نموّ علميّ في العالم كلّه، حصل خلال هذه الأعوام كان في إيران. فتقرير عام 2011م يقول «إنّ أسرع نموّ علميّ في العالم كلّه حصل في إيران»[1]. وحسب التقارير الّتي أطلقتها المراكز العلميّة المُعتَبرة في العالم، فإنّ إيران تحتلُّ المرتبة العلميّة الأولى في المنطقة. و«كنّا قد حدَّدنا لأنفسنا سنة 1404 هـ ش. (2025 م)، كي نصل إلى هذه المرتبة العلميّة الأولى؛ أي لا يزال أمامنا أربعة عشر عاماً. في العام الميلاديّ الماضي قالوا إنّ إيران هي الأولى في المنطقة من حيث المرتبة العلميّة، والسابعة عشرة في العالم؛ أي إنّ المرتبة العلميّة لبلادنا على مستوى العالم هي السّابعة عشرة، وهذا شيءٌ على جانبٍ كبيرٍ من الأهمّيّة، فتقدُّمُنا العلميّ إذًا هو من نقاط قوّتنا»[2].

5. نقل قِيَم الثّورة للأجيال:

استمراريّة نهج الإمام تقتضي نقل قِيَم الثَّورة إلى الأجيال الشَّابة الّتي لم تُعايش فترة الثّورة والإمام، ونقل هذه القِيَم يجعل الثّورة دائمًا غضّة طريّة مُفعَمة بروح الشّباب الّذي هو وقود الثّورة دائمًا. فاذا انتقلت القِيَم إلى هذه الأجيال ضَمِنت - بإذن الله تعالى - بقاء الثّورة، يشرح ذلك الإمام الخامنئيّ دام ظله: «ومن نقاط قوّتنا خلال هذه المدّة، نقل قِيَم الثّورة للجيلَين الثّاني والثّالث. عندما تنظرون إلى الشّباب ترَوْن أنّهم تلقّوا هذه القِيَم وأدركوها. الخطوة العظيمة الّتي قام بها الشّباب بعد استشهاد أحمدي روشن (تعريف) حيث أعلنوا عن استعدادهم للعمل خطوة مهمّة جدًّا، ويجب عدم الاستهانة بهذا. من نقاط قوّتنا ومن نقاطنا الإيجابيّة انتقال هذه القِيَم للجيلَين الثّاني والثّالث. طبعًا، كانت

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، من خطبة صلاة الجمعة 2012/2/3م.
(2) المصدر نفسه.

هناك بعض حالات التّساقط، وكان هناك بعض التّائبين من الثّورة والنّادمين عليها، لكنّ النّماء عندنا كان أكثر من التّساقط. القِوى المُهترئة تتساقط، لكنّ القِوى الشّابة الطّريّة تتصاعد وتنمو»[1].

6. التّأثير في القضايا الأساسيّة:

مِنْ مظاهر حضور الثّورة وإمكانيّات الاستمرار تأثيرها في قضايا العالَم وموقعيّتها السياسيّة والثّقافية المُتزايدة، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «نقطةٌ أخرى من نقاطنا الإيجابيَّة خلال هذه المدَّة، تتمثّل بالقفزات الواسعة في التّأثير في القضايا الأساسيّة في المنطقة والعالَم. فنظام الجمهوريّة الإسلاميّة اليوم هو نظامُ بلدٍ مؤثِّر. «النَّعم» أو «اللّا» الّتي يقولها في قضايا المنطقة حتّى في القضايا العالميّة مؤثّرة، وهذا شيءٌ مهمٌّ جدًّا للبلد».

نقاط ضّعف الثورة

إنّ أيّ خطّ ونهج سياسيّ فعّال، من الممكن أن يُبتلى بمشاكل ونقاط ضعف وثغرات، من شأنها أن تُعرقل سيْرها نحو الأفضل. وأمّا نهج الإمام المبارك، فإنّ لديه نقاطًا خاصّة، قد تشكِّل خطرًا جديًّا على استمراريّة النّهج، ويجب التّغلُّب على نقاط الضّعف هذه وإزالتها، ومعرفة هذه النّقاط وتشخيصها وتحديد علاجاتها هو من نقاط القوّة فيها. ومن أجل التغلّب على نقاط الضعف في التي تواجهها الثورة الإسلاميّة، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «يجب علينا تلافي نقاط الضّعف هذه. إنّها مواطن نقص وضعف لا يمكن تخطّيها وعدم الاكتراث بها. على المسؤولين، وكذلك على أبناء الشّعب أن يشعروا أنّ من واجبهم تلافي هذه النّواقص والسّلبيّات. يجب أن نطلب العَوْن من الله تعالى ونتغلّب على هذه النّواقص ونرفعها. ورفعها أمرٌ ممكنٌ طبعاً، إنّها سلبيّات يمكن التغلُّب عليها ومعالجتها»[2]. وفيما يأتي نذكر بعض نقاط الضعف هذه:

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، من خطبة صلاة الجمعة 2012/2/3م.
(2) المصدر نفسه.

1. النُّزوع إلى الدُّنيا:

«نقطة ضعفنا الأولى هي النُّزوع إلى طلب الدُّنيا، التي تتمكّن من بعضنا، وتسيطر عليه. فطلب الدُّنيا والماديّات أصاب بعضنا - نحن المسؤولين - وشيئًا فشيئًا سقط من قاموسنا قُبح المَيْل للثّروة والبذخ والتّشريفات والعيش برفاهيَة والنّزعة الارستقراطيّة. وحينما نصبح كذلك، فإنّ هذه الحالة تتسرّب إلى النّاس، فالميل للارستقراطيّة والبذخ وجمْع الثّروات، والتمتّع بها بشكل غير مشروع وغير مستساغ، موجودٌ لدى كثير من النّاس بشكلٍ طبيعيّ. لكن عندما نُطلق العنان لأنفسنا ونصاب بهذه الآفات، فسوف تتطرَّق هذه الأحوال إلى النّاس، وتظهَرُ فيهم»[1].

ومن مَظاهِر هذا النُّزوع إلى الدّنيا، الإسراف، والنّزعة الاستهلاكيّة، والحِرْص على الدُّنيا، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «نحن نعاني اليوم للأسف، من الإسراف والنّزعة الاستهلاكيّة. لقد قلتُ هذا مرارًا وأقوله مرّة أخرى: هذا خطرٌ يعترِض طريقنا، يجب التّقليل من النّزعة الاستهلاكيّة، والحِرص على الدّنيا ومتاع الدّنيا. ما إنْ تنتشر إشاعة بأنّ الشّيء الفلاني قد نَدر وشحّ، حتّى يهجم النّاس لجمعِه وامتلاكه خوفًا من أن يفقدوه، والحال أنّ ذلك الشّيء قد لا يكون من الأشياء الضّرورية في الحياة. حتّى لو لم تكن تلك البضاعة شحيحة؛ فإنّ هجوم النّاس عليها سيجعلها شحيحة، ونحن لا نتنبّه لهذه النّقطة. هذه من مواضع ضعفنا، ويجب علينا رفع هذا النّقص والضّعف»[2].

2. الضّعف على مستوى التّزكية والأخلاق:

«مِنْ نقاط ضَعفنا الأخرى، أنّنا لم نحقّق تقدُّماً أخلاقيًّا وتزكية أخلاقيّة ونفسيّة، بموازاة العِلم والتّقدم العلميّ، وهذا نوع من التّخلُّف. طبعًا، الوضع اليوم أفضل بكثير ممّا كان عليه قبل الثّورة - ولا ريب في هذا أبدًا - لكن كان يجب علينا أن نتقدّم. لقد تقدَّمنا في العِلم وتقدّمنا في السّياسة، وكان ينبغي لنا أن نتقدَّم في المعنويّة وتزكية النّفس. في القرآن

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، من خطبة صلاة الجمعة 2012/2/3م.
(2) المصدر نفسه.

الكريم أينما ورد ذكر التّزكية والتّعليم عن لسان الخالق، قَدَّم سبحانه التّزكية على التّعليم، والتّعليم هنا هو تعليم الكتاب والحكمة، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[1] في موضعٍ واحد فقط جرى تقديم التّعليم على لسان إبراهيم. وهكذا، فقد غفَلنا عن التّزكية الأخلاقيّة والنّفسيّة»[2].

3. العدالة الاجتماعيّة:

مِنَ الأهداف الأساسيّة الّتي قامت من أجلها الثّورة الإسلاميّة المُباركة، تحقيق العدالة الاجتماعيّة وَفق تعاليم الإسلام: «على صعيد العدالة الاجتماعيّة، لم نصل بعد إلى المستوى الّذي يريده الإسلام، وهو ما نطمح إليه بدورنا، هذه أيضًا من نقاط ضَعفِنا»[3].

حماية الثّورة من الانفعال والتحجّر

إنّ أكبر الآفات الّتي تواجه حركة كبرى كهذه هما التّحجُّر والانفعال.

1. معنى التحجّر:

التحجّر بمعنى عدم القدرة على مواكبة العصر، وهذه من الآفات الخطرة الّتي تأكل وجه الأُمّة بين الأُمم، فلا تستطيع أن تقف أمام الأُمم الأخرى، وتسبقها بسبب العمل غير المدروس والمستعجل، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «معنى التّحجُّر هو الانغلاق على ظواهر الأحكام لمن يريد تسخير أصول الدّين وفقهِه لبناء المجتمع، وعدم القدرة على استيعاب المرونة الطّبيعيّة الّتي تتّصف بها الأحكام والمعارف الإسلاميّة، في الحالات الّتي تتّسم بها بالمرونة، فيكون قاصرًا عن تلبية حاجات بلد ما وشعبه ونظامه، وهي حاجات فوريّة ومتجدِّدة، ولا يمكنه تقديم العلاج اللّازم لها، هذه آفةٌ كبرى»[4].

---

(1) سورة الجمعة، الآية 2.

(2) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، من خطبة الإمام الخامنئيّ دام ظله الأولى في صلاة الجمعة - طهران 2012/2/3م.

(3) **المصدر نفسه.**

(4) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، حشد من عوائل الأسرى والمفقودين بتاريخ 14محرم 1418هـ.

2. **معنى الانفعال:**

الانفعال من الآفات الّتي تهدِّد الأُمّة من خلال ردود أفعال الزّعماء والقادة الّذين يقومون في الحوادث الضّخمة بردود أفعال مُنفعلة وتسبُّب الانهيارات: «وقد وقف الإمام الخمينيّ قدس سره أمام الآفة الثّانية (مواجهة الانفعال) كالجبل الأشمّ»[1].

ويَعمِد العدوّ إلى وضع الثّورة أمام حالات ومواقف لا يُتاح فيها لقيادة الثّورة وشعبه أن يقوم بدراسة دقيقة، وإمعانِ نظرٍ وافٍ في تشخيص الحالة وتحديد العلاج والموقف المناسب لها، مُمنِّيًا النّفس بأنْ يقوم الثوريّون بردودٍ غير محسوبة، غير متناسبة مع مبادئ الثّورة، وهذا هو ما يريده العدوّ! يشرح الإمام الخامنئيّ دام ظله هذا الأسلوب الماكر للأعداء، فيقول: «إنَّ ما ينبغي لأبناء الشّعب، ولا سيّما الشّباب منهم، وللمسؤولين في مختلف قطاعات نظام الجمهوريّة الإسلاميّة المقدّس الالتفات إليه، هو أنّ الأعداء حيثما عجزوا عن مجابهة هذا النّظام في ساحة المواجهة، أي حيثما عجزوا عن ضربه عسكريًّا، أو أخفقوا في ترتيب بعض الانفجارات في الدّاخل أو الإخلال بأمنه، وفشلوا في إخضاعه بالحصار الاقتصادي، لا يبقى لديهم إلاّ طريقٌ واحد، وهو دفع النّظام الإسلاميّ والثوريّ إلى اتّخاذ مواقف تتعارض مع مبادئه، أو بعبارة أكثر وضوحًا: إرغامه على التّراجع عن تصريحاته في قضايا الثّورة، ودفعه إلى تخطئة أقواله ومواقفه، وتركه يتخبّط في حالة من التّناقض»[2].

كيف نواجِه التّحجُّر والانفعال؟

1. **النّظر للمستقبل وتحمُّل المسؤوليّة:** وهذا الأصل يسري على كِلا التّهديدَيْن، أي التّحجُّر والانفعال، حيث إنّ سَيْر الأمَّة إلى المستقبل، وتحمُّل الهمّ والمسؤوليّة، هو أفضل مواجهة مع التّحديات الّتي تقف في طريق الأُمّة، من قَبيل التّحجُّر والانفعال، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «أعتقد أنّ الأعمال الّتي يجب أن نقوم بها للتغلُّب على هذه السّلبيات والنّواقص، هي بالدّرجة الأولى

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، الذّكرى السّنويّة الثامنة لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره 1997/6/4م.
(2) المصدر نفسه.

النّظر للمستقبل وتحمُّل المسؤوليّة. علينا جميعًا أن نشعر بالمسؤوليّة، خصوصًا مسؤولي البلاد وخدمة الشّعب، يجب أن يشعروا بالمسؤوليّة، ويجب أن لا نُلقي النّواقص والتّقصير على عاتق بعضنا... الحدود واضحة. الدّستور عيّن الخطوط والحدود، وواجبات الجميع معلومة»[1].

2. **عدم الغفلة عن القيَم الأصوليّة:** ومن المهامّ الكبرى أيضا الّتي تكْفُل مواجهة هذه التّحديّات، مَهمَّة عدم الغفلة عن القيَم الأساسيّة، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «المهمّة الأصليّة الأخرى هي أنّنا يجب أن لا نغفل عن القيَم الأصوليّة (الأساسيّة)، ولا ننشغل بالقضايا الفرعيّة والهامشيّة، ونغفل عن الأُصول»[2].

3. **الحفاظ على الاتّحاد والتّعاطف:** «ومن واجباتنا أيضًا الحفاظ على الاتّحاد والتّعاطف. قلنا مرارًا: إنّه لا بدّ من توافر الاتّحاد والتّعاطف بين المسؤولين. السّلطات الثّلاث والآخرون يجب أن يكونوا متعاطفين ومتواكبين ومتعاضدين، حتّى لو كان بينهم اختلاف في وجهات النّظر في بعض المَواطن. لا ضيْرَ في الاختلاف في وجهات النّظر، ولكن يجب أن لا يقف بعضهم ضدّ بعض في توجّهات النّظام والبلاد والثّورة، بل عليهم أن يَشدّ بعضهم على أيدي بعض بقوّة، ويتقدّموا إلى الأمام. هذا ما يجب عليهم وعلى أبناء الشّعب فيما بينهم وعلى أبناء الشّعب في علاقتهم بالمسؤولين؛ هذا الاتّحاد والتّعاطف علاج حاسم لكثير من المشكلات الموجودة في البلاد»[3].

4. **عدم الانخداع بوعود العدوّ:** «من المَهامّ الأصليّة الّتي يجب أن ننهض بها وعلى الجميع التنبُّه لها، هو أن لا ننخدع بابتسامات العدوّ، والوعود الكاذبة لجبهة الأعداء، ولدينا تجارب خلال هذه الأعوام الثّلاثين، فقد ابتسموا لنا أحيانًا، وفي البداية صدّقهم بعضُنا، وشيئًا فشيئًا أدركنا ما الّذي يجري وراء السِّتار. يجب أن لا ننخدع بابتسامات العدوّ ووعوده الكاذبة. بسهولة تامَّة تنكُث جبهة القوى المادّيّة المُهيمنة على العالَم

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، خطبة صلاة الجمعة 2012/2/3م.
(2) المصدر نفسه.
(3) المصدر نفسه.

اليومَ عُهودها، تنكثُ عهودها وأقوالها من دون خجلٍ أو همّ، لا يخجلون من الله، ولا من خلق الله، ولا من الجانب الّذي يفاوضونه... يكذّبون بكلّ سهولة»[1].

5. **اجتنابُ الكَسل:** «ومن النّقاط أيضًا اجتناب الكسل وقلّة العمل. الكسل والخمول وقلّة العمل تدمّر الإنسان، والعائلة، والبلد، والشّعب. على الجميع أن يعملوا... يجب أن يعملوا عملاً جهاديًّا. حينما أعلنّا هذا العام عامًا للجّهاد الاقتصاديّ، فمعنى ذلك أنّ الحركة الاقتصاديّة يجب أن تكون حركة جهاديّة. هذا ما يتعلّق بقضايا الثّورة والكلام كثير والوقت قليل، ويجب أنْ نطرح القضايا الأخرى»[2].

6. **رفع شعار «نحن قادرون»:** «نحن قادرون»، شعارٌ علّمنا إيّاه الإمام. لقد سعى قادة الاستكبار المتربِّعون على عرش المال والقوّة، وكذا أزلامهم في منطقتنا، بكلّ قواهم الماليّة، الإعلاميّة والدعائيّة، والسياسيّة، إلى إرعاب الشّعب الإيرانيّ وبثّ اليَأْس في نفوس أبنائه»[3].

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله، خطبة صلاة الجمعة 2012/2/3م.
(2) **المصدر نفسه.**
(3) المصدر نفسه.

المفاهيم رئيسة:

1. إنّ التّعرُّف إلى نقاط القوّة والضّعف في نهج الإمام قدس سره، هو من الواجبات الأساس للعاملين والمُحبِّين لهذا الخطّ والمُريدين لاستمراريّته.
2. مِنْ نقاط القوّة في هذا الخطّ ثبات الثّورة في وجه الهجوم الاستكباريّ، على الرغم من كلّ الضّغوطات الدّولية الاستكباريّة الّتي قامت بها الحكومات الظّالمة تجاه الثّورة.
3. إنّ قيام الثّورة بإعادة إعمار البُنى التّحتيَّة في الدّولة وتحقيق العدالة للشّعب، هو من الإنجازات المُهمّة والاشارات العمليّة على صحّة مَسْلَك الثّورة.
4. لقد حقّقت الثّورة الإسلاميّة تقدُّما علميًّا هائلًا على المستوى العالمي، وسط ظروفٍ بالغةِ القَسوة، وحصارٍ معرفيّ مُفبرك بِخُبث.
5. تقتضي استمرارية نهج الإمام أن يجري نقل القِيَم الثوريّة إلى الأجيال التي تعايش فترة الإمام قدس سره، من أجل بقاء الرّوح الثوريّة عندهم وصَوْنهم من تأثيرات الدّول الاستكباريّة وثقافتها ومخطّطاتِها.
6. من علامات استمراريّة الثّورة هو حضورها في السّاحات الدّوليّة، وعلى مستوى السّياسة العالميّة كحالة سياسيّة ثوريّة غير خاضعة للنّظام الاستكباريّ العالميّ.
7. إنّ تمتُّع الثّورة الإسلاميّة بِبُنية نظاميّة متينة هو دليل على امتلاك الثّورة لإمكانيّات الاستمرار والحياة وسْط الظّروف القاسية.
8. مِنْ نقاط الضّعف الّتي قد يُبتلى بها أتباع هذا الخطّ، خطر النُّزوع إلى الدّنيا، الضّعف على مستوى التّزكية والأخلاق، عدم تحقيق العدالة الاجتماعيّة.
9. من واجبات الأمّة ومسؤوليّاتها في التغلّب على نقاط الضّعف، أَنْ تشخِّص التّحديَّات الّتي تواجهها والّتي تتمثّل في تحدِّيَيْن رئيسيّين، هناك تحدِّيان اثنان يواجهان نهج الإمام ونهضته، الأوّل خارجيّ، والثّاني داخليّ.

مركز المعارف للمناهج والمتون التعليمية

مِنْ مؤسَّساتِ جمعيَّةِ المعارفِ الإسلاميَّةِ الثقافيَّةِ، متخصِّص بإعدادِ المناهجِ وَتدوينِ المتونِ التعليميَّةِ، وفقَ المنهجيَّةِ العلميَّةِ والرؤيةِ الإسلاميَّةِ الأصيلةِ.

ISBN: 978-614-467-110-8

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
AL - MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION
لبنان - بيروت - المعمورة - الشارع العام
تلفون: 471070 1 961+ فاكس: 476142 1 961+
www.almaaref.org.lb
Email:info@almaaref.org.lb